القوة التفسيرية للنظريات الإجتماعية لعمليات الضبط الإجتماعي في النظام التعليمي الأمريكي (١)

د . بسامة خالد المسلم *

المقدمة :-

إن مفهوم الضبط الإجتماعي مفهوم واسع ، إذ يقصد به كل ما يؤدي إلي المحافظة علي الأوضاع السائدة والمتعارف عليها والمقبولة سلفا .

وحيث أن موضوع الضبط الإجتماعي يشمل العديد من المتغيرات ، فإنني سوف أتخذ متغيرا واحدا لتتم دراسته دراسة وافية ، وسوف أختار أن أناقش في هذه الدراسة موضوع اللامساواة في فرص التعليم لعموم الناس وللمرأة بصفة خاصة ، التي تؤدي بدورها إلي لامساواة في فرص العمل لبعض الأقليات بصورة عامة وللمرأة بصفة خاصة . ويري العديد من الباحثين ، أن إعادة تصدير هذه اللامساواة للمجتمع الأوسع (وذلك للحفاظ علي بنية السلطة اللامتساوية أصلا في المجتمع) أصبحت وظيفة سواء (الوظيفة) الرسمية والواضحة أم الخفية للمدرسة .

باختصار سوف أتخذ ظاهرة التفرقة بين الجنسين نموذجا يوضح عملية الضبط الاجتماعي في التعليم ، فالتفرقة بين الجنسين هنا تكون جزءا من عملية الضبط الاجتماعي ، وسبب اختياري لهذا المتغير ينطلق أولا من صعوبة إيجاد تفسير نظري يوضح أسباب التفرقة بين الجنسين ، وثانيا بسبب إهمال البحوث المهتمة بتطبيقات هذه النظريات الإجتماعية لهذا الموضوع . فاللامساواة هذه في فرص الحصول علي تعليم والفرص المتاحة أثناء التعليم تتطابق مع الطبيعة الطبقية للمجتمع الأوسع علي حد القول بولز وجنتس (١٩٧٦) .

الأسئلة التي يطرحها البحث : -

هل تستطيع النظريات الاجتماعية الغربية أن تفسر نمط الضبط الاجتماعي ممثلا في الحفاظ علي المرأة خارج نطاق بنية السلطة ؟ (من خلال عمليات التفرقة ضد المرأة

* قسم أصول التربية ، كلية التربية ، جامعة الكويت

التي تحدث سواء في المدرسة أو في المجتمع الأوسع) للإجابة علي هذا السؤال سوف أستخدم النظريات التي يقدمها علم الإجتماع كإطار نظري لفهم الطريقة التي تحقق بها المدارس الأمريكية الضبط الإجتماعي . هذا التحديد في طريقة الإجابة عن السؤال السابق سوف يحدد لنا السؤال لنصوغه كما يلي : إلي أي مدي نجحت هذه النظريات الإجتماعية في مساعدتنا علي فهم دور النظام التعليمي الأمريكي ؟ وما هي الآلية التي تعمل بها المدارس الأمريكية لتحافظ علي الضبط الإجتماعي في المجتمع الأمريكي ؟ .

أدبيات البحث :-

عموما ، لا أعلم عن بحث يختبر تأثير الجنس علي الطريقة التي تحقق بها المدارس الضبط الإجتماعي . ولكن هناك مجموعة لا بأس بها من البحوث تنظر مباشرة في خبرة عمليات التطبيع الإجتماعي للمرأة في المدارس الأمريكية . وهذه الأدبيات ، سنسميها الأدبيات المهتمة بشئون المرأة (Feminist Literature) وهي تخبرنا أن المدارس بالفعل تطبع تلاميذها تطبيعا مختلفا حسب جنسهم . Frazier, and Sadker,(1973) Spaulding (1963), Stacy et. al. ,(1974), Estler (1975), . Kilson (1976) Thomas and Stewart (1971), Weitzman ,et. al (1972), Klly & Nihlen(1982), Macdonald(1980), Mcrobbie(1978), .Pietrofesa & Schlossberg (1977), Pottker (1977) , Searsel.et (1974) وهناك مجموعة أدبية تجعل موضوع الضبط الإجتماعي موضوعها الأساسي وتهتم بالطريقة التي تحقق بها المدارس الضبط الاجتماعي . هاتان المجموعتان الأدبيتان لم يحدث أن أدمجتا أو وحدتا . ومجموعة الأدبيات التي تركز علي طريقة تحقيق المدارس للضبط الإجتماعي في الواقع ليست مجموعة واحدة بل تنقسم إلي مجموعتين :-

١ - المجموعة الأولي وهي الإتجاه الأكثر شعبية بين الباحثين وهي تراث رئيسي يسمي التراث الخاص بالتدرج الإجتماعي Stratification tradition . هذه المؤلفات تهتم بصورة رئيسية بمشكلة الحراك الإجتماعي وأثر التعليم عليه . وهذا النوع من البحوث يركز علي الذكاء (I.Q.) والمنزلة الإجتماعية - الإقتصادية (Socio-economicstatus)(SES) والأصل العرقي(Race) ومستوي تعليم الوالدين ... الخ كمتغيرات مستقلة يمكنها أن تؤثر علي الموضع الطبقي للأفراد المختلفين في المجتمع الواحد .

وتستخدم هذه البحوث نموذجاً يشبه المدرسة بالمصنع ولها مدخلات (هم التلاميذ

الصغار) ومخرجات (وهم الخريجون والخريجات أو المنسحبون والمنسحبات) كما للمصنع مدخلات (المواد الخام) ومخرجات (سلع مصنعة قابلة للإستخدام) ، وهذا النموذج يسمي Factory input- output model of Schooling ، ومن خلال هذا النموذج ينظر إلي المدرسة كصندوق مغلق black - box لا نعلم ما يجري في داخله من عمليات وخبرات ، علما بأن بداخله عمليات كتلك التي تجري في داخل المصنع ، من خلال هذه العمليات يطبع الأفراد فيخرجون (المخرجات) ليصبحوا سلعا مصنعة جاهزة أو قابلة للإستخدام في المجتمع الطبقي . وكل فرد (الذي هو أحد مخرجات العملية المدرسية Schooling) يتولي مهمة مختلفة في المجتمع بحسب كفاءته الأكاديمية Bowels and Gintis (1976) ,Coleman. et.al.,(1966) Duncan et.al.,(1975),Jencks (1972) Rehberg and Rosenhal (1976) Sewell and Hauser (1975) Sewell, et.al.(1969) , Sewel, et.at.(1970) Blau and Duncan (1967).

٢ – أما مجموعة الأدبيات الثانية في علم إجتماع التربية والتي هي أقل شعبية من سابقتها ، فيمكن أن نسميها الإتجاه النقدي Critical Literature وترفض هذه الأدبيات النموذج السابق الذكر (الذي يمثل المدرسة بالصندوق المغلق والذي لديه مدخلات ومخرجات كما للمصنع مدخلات ومخرجات) وتصر علي أن تتفحص داخل ما يسمي بالصندوق المغلق لتري بالفعل ماذا يحدث للتلاميذ داخله من خلال عملية أو خبرة التطبيع الإجتماعي داخل المدرسة . أي أنهم ينادون بفتح هذا الصندوق المغلق ليشاهدوا العمليات التربوية التي تجري بداخله . والباحثون في هذا المضمار يحاولون أن يروا عمليات التحول التي تأخذ مكانا في المدارس ويريدون أن يتعرفوا علي تلك العمليات التي تحول الأفراد إلي شئ آخر (سلع مصنعة) غير ما كانوا عليه قبل العملية المدرسية هذه ، ذلك اذا كان هناك بالفعل عملية تحول تأخذ مكانا . وهذه الأدبيات مهتمة بصورة رئيسية بما يعلم داخل المدرسة ، وطبيعة المعرفة المدرسية School Knowledge ومن هم أصحاب هذه المعرفة Who's Knowledge is it وما هي مكونات هذه المعرفة وكيف تنقل إلي التلاميذ . Apple (1982) , (1979a) , (1979b) Bourdieu & Passeron (1977) Cicourel and Kitsus (1963), Cusick (1973) Rosenbaum (1979, Witty and Young (1976) , Young (1971) Alexander et. al., (1978))Anyon (1979). Clark (1960) Bourdieu (1973) Langton and Jennings (1968), Lightfoot (1973) Litt (1963) Rist (1970) Bernstein (1977), Karable (1977).

والباحثون الذين يفصلون هذه الطريقة في البحث لفهم الخبرة المدرسية يتوصلون إلي إهتماماتهم عن طريق دراسة ملامح عديدة لمنهج المدرسة من حيث الشكل Form والمحتوي Content ، ويقسمون شكل المنهج إلي شكل رسمي وشكل خفي .

فالمنهج الرسمي هو ما يقال في الكتب المدرسية ، والمنهج الخفي هو مالايقال في الكتب المدرسية بالمقارنة مع ما قيل فيها (في الكتب المدرسية) فمن الممكن أن يكون المنهج الخفي كامنا في طريقة وصف المعرفة في هذه الكتب المدرسية ، وذلك يعني شكل المعرفة التي تعلم في المدرسة . كما يمكن أن يكون كامنا في خبرة التطبيع الإجتماعي داخل وخارج الفصل الدراسي مثل التفاعل بين المعلم والتلميذ ، والتفاعل بين تلميذ وتلميذ، والنظم السلوكية واللوائح والقوانين المدرسية ، وبنية السلطة المدرسية ... الخ ، أما محتوي المنهج فهو الطريقة التي توصف بها المعرفة ومدي شرعيتها وواقعيتها ... الخ .

وتتساءل هذه المدرسة الفكرية الجديدة عن مدي شرعية ومصداقية المعرفة المدرسية ، وربما مصداقية المعرفة عموما التي تؤسس علي ما يعلم في المدارس Apple (1979), (Apple ed.(1982) Apple and Wies (1983) Illich (1971), Geroux (1983), Anyon (1979), Young (1971) Bourdieu & Passeron (1977) ليس لهاتين المجموعتين الأدبيتين المتميزتين عن بعضهما في علم إجتماع التربية الأمريكي اهتمام كبير بالجنس Sex (أي جنس التلميذ) كمتغير يمكن أن يشكل خبرة التلميذ في المدرسة . وليس هذا الإهمال بسبب ندرة أو قلة البحوث التي تستخدم الجنس كمتغير ، لأن هناك كما ذكر سابقا مجموعة ثالثة من البحوث التي تهتم بشئون المرأة وتتعامل مع هذا المتغير وتوفر معلومات ميدانية Empirical data ومعلومات مبنية علي الملاحظة والإختبار عن المرأة وتعليمها -ويعلل الباحثون هذه الفجوة أو الحلقة المفقودة بالفرضية القائلة بأن هناك تأثيرا محايدا من التعليم علي الجنسين. وبعبارة أخري أنهم يقولون إن ما يحدث للرجال في التعليم يحدث للنساء أو يطابق ما يحدث للنساء أيضا . وذلك يعني أنه لا يوجد تمييز في إحداث عملية التطبيع التي تأخذ مكانها في المدارس بين الذكور أو الإناث . ولكن المعلومات التي توفرها مؤلفات المجموعة الثالثة وهي المهتمة بشئون المرأة تجعلنا نشك في صحة هذه الفرضية.أنظر، Spaulding (1963) Stacy et.al.(1974)I.Kelly and Nihlen(1982),MacDonald(1980), Mcrobbie (1978).

طريقة البحث :-

بعد إعطاء فكرة موجزة عن تلك المجموعات الثلاث من المؤلفات سوف أشرح خطة

هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة التي طرحتها في بداية البحث .

غالبا ما تأخذ النظريات الإجتماعية في الإعتبار آليات الضبط الإجتماعي كسبب رئيسى يؤكد ليس فقط لفرز الأفراد للأدوار المختلفة في الحياة ، وإنما أيضا لاستمرار المجتمع وبعض الأنماط ونماذج السلوك الإجتماعي والقيم والنظم ... الخ في مجتمع ما .

وموضوع الضبط الإجتماعي موضوع واسع ، قد يركز علي شروط تكيف الفرد وخضوعه ، أو يركز علي السلطة ومدي شرعية المحافظة أو الإبقاء علي بناء مؤسسة معينة . وسوف يشرح هذا البحث كيف تسهم المدارس في إبقاء بنية إجتماعية ما . وعلي وجه التحديد سوف يركز هذا البحث علي الدور الذي تقوم به المدارس في إعادة إنتاج بنية السلطةالمهيمنة في المجتمع الأوسع (أي خارج المدرسة) ، وسوف أذكر عرضا دور المدارس في الإبقاء علي المعايير والقيم السائدة في المجتمع . والإهتمام الرئيسي لهذا البحث سوف يكرس للطريقة التي تبقي بها المدارس علي الأدوار المصبوبة في قوالب حسب جنس الفرد Sex-Role Stereotyping وذلك من خلال خبرة التطبيع الإجتماعي المختلفة لكلا الجنسين مما يساعد علي إبقاء المرأة بعيدا عن بنية السلطة في المجتمع غارسا الشعور باللامساواة .

سوف أدمج المجموعات الأدبية الثلاث التي ذكرت آنفا في علم الإجتماع الأمريكي وعلم إجتماع التربية لاستخدامها كإطار نظري ، وتعي الباحثة بأن هذه المجموعات متميزة عن بعضها البعض وأن لكل منها تقاليدها الخاصة بها ، ولكن الباحثة تعتقد بإمكانية دمجها (وهنا تكمن أهمية البحث) لتساعدنا علي فهم الطريقة التي من خلالها تعمل المدارس علي المحافظة علي الضبط الإجتماعي في المجتمع الأوسع . والطريقة التي سوف تستخدم بها المجموعات الأدبية الثلاث لفهم كيف تبقي بنية السلطة وتستمر ، كما يلي : -

١ - أدبيات الاتجاه النقدي سوف تساعدنا علي فهم ماذا يحدث داخل المدرسة بصورة عامة علي المستوي المايكرو (الصغير) .

٢ - هذه المجموعة مزدوجة مع الأدبيات المهتمة بشئون المرأة سوف تمدنا بمعرفة ما يحدث للذكور داخل المدارس .

٣ - أما المؤلفات المهتمة بموضوع التدرج الإجتماعي أو الطبقية والتربية أي علم اجتماع التربية التقليدي ، فهي ترينا ماذا يحدث للمخرجات المدرسية علي المستوي الماكرو (الكبير) خارج النظام التربوي ، وهكذا ستوضح الأدبيات الممثلة للاتجاه النقدي ما يحدث داخل المدرسة ليفسر لنا ما يحدث خارجها للمخرجات المدرسية وهذا سوف

يوضح لماذا تبدو منتجات التعليم علي ما تبدو عليه .

وسوف تجتهد الباحثة في توضيح ما قد يبدو في هذا من عمومية . إن ما يحدث داخل المدارس (الصندوق المغلق Black Box) قد يكون السبب الكامن وراء كيفية توزيع بعض الناس علي البنية الطبقية في المجتمع الأوسع ، إذ يصبح بعض الناس بعد تخرجهم من التعليم جزءاً من بنية السلطة دون البعض الآخر . فما هي تلك الآليات التي تؤدي ببعض الناس دون غيرهم ليصلوا إلي مراتب إجتماعية عالية ؟ ما هي الخبرة المدرسية التي تجعل اللامساواة ممكنة في المخرجات المدرسية أو في مرحلة ما بعد المدرسة ؟ إذا كانت المدارس كما يقال تزود الأفراد بالتدريب الذي سوف يحتاجونه بعد فترة الدراسة ، فكيف يحدث أن شخصين في نفس الفصل الدراسي مدربين بواسطة نفس المعلم أو المعلمة ينتهي بهما الآمر إلي أن يحتلا دورين مختلفين في البنية السلطوية ، أحدهما في القمة والآخر في القاعدة ؟ هل هذا بالفعل نو علاقة بدرجة ذكاء الفرد فقط أم أن هناك أسبابا أخري حاكمة ؟ تري أدبيات الاتجاه النقدي أن الخلفية الاجتماعية والبيئية تؤثر في الأغلب علي الفرد أكثر من تأثير المدرسة عليه بل إن المدرسة تكرس دور الخلفية الإجتماعية .

تزودنا مؤلفات الاتجاه النقدي والمؤلفات المهتمة بشئون المرأة ببعض الأجوبة لهذه الأسئلة ، إلا أن مؤلفات الاتجاه النقدي لا تهتم بما يحدث للفرد بعد سني الدراسة ، بينما تهتم المؤلفات التي تتخذ موضوع الطبقية محورا لها – أي علم اجتماع التربية التقليدي – بما يحدث للفرد بعد سني الدراسة . ولذلك تري الباحثة أنه من الضروري أن تستخدم هاتين المجموعتين من المؤلفات لفهم العوامل التي تسهم في تشكيل بنية السلطة ، وكيف يتم الإبقاء عليها كما هي . ولكن هاتين المجموعتين لا تهتمان بمتغير الجنس ، ولهذا نستعين بمجموعة من المؤلفات المهتمة بشئون المرأة : وذلك لمضاهاة ما يحدث للذكور في مقابل ما يحدث للإناث في المدرسة ، وكيف يمكن أن تؤثر هذه التفرقة علي بنية السلطة في المجتمع الأمريكي ، فبنية السلطة تكاد تخلو من الإناث كما تكاد تخلو من السود والأقليات الأخري . صحيح أن بنية السلطة تؤثر علي المدرسة وتعيد المدرسة تصدير هذا التأثر فتبقي البنية علي ما هي عليه إلا أنه يجب علينا أن نسأل كيف يحدث هذا ولماذا ؟ ما هي الآليات التي تعيد بها المدرسة تصدير هذا التأثير ؟ وما هو دور المدرسة في التغيير خصوصا وأن التوسع في المدارس أو الإصلاح التربوي الذي أنشئ كان من أجل إيجاد إنصاف وعدالة ومساواة بين البشر وتوفير الفرص للبعض الذين لا تساعدهم خلفياتهم الاجتماعية أو الاقتصادية علي تغيير حياتهم ولا تساعدهم علي

الحراك إلي أعلي ، فأين كل ما أدعاه المصلحون من المربين والسياسيين والاقتصاديين بأن التوسع في التعليم وتعميمه علي جميع الطبقات سوف يغير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأقليات المحرومة من جميع الميزات ، إلي الأفضل ؟ .

خطوات البحث :-

في هذا البحث سوف أركز أولا علي أربع نظريات اجتماعية وأشرحها ، وسوف أعالج دور كل من هذه النظريات في تفسير بعض الأنماط والظواهر التي ظهرت في ميدان علم الاجتماع التربية الأمريكي . وثانيا سوف أتفحص مسألة اللامساواة في المدارس الأمريكية ، والطريقة التي تعيد بها المدارس تصدير اللامساواة في المجتمع الأوسع . وثالثا سوف أقوم قدرة النظريات الاجتماعية الأربع علي توفير الشروح من أجل الوصول إلي إطار تفسيري Explainatory Power لفهم مشكلة اللامساواة في المدارس خصوصا بالنسبة للإناث . وهكذا سوف أنظر للضبط الاجتماعي من خلال اللامساواة المدرسية بين الجنسين وإعادة إنتاج البنية المدرجة للمجتمع الأوسع وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين الجنسين في المجتمع الأمريكي . وفي نهاية هذا البحث سوف أحاول إيضاح أي من هذه النظريات هي الأفضل في تفسير الأنماط والظواهر التي نشأت في نفس المكان الذي نشأت فيه هذه النظريات (الغرب) .

الجزء الأول

النظريات الاجتماعية :

سوف نناقش هنا أربع نظريات إجتماعية :

(١) النظريات الوظيفية البنيوية التقنية Technical Structural Functional Theories

(٢) نظريات الصراع Conflict Theories

(٣) نظريات التفاعل الرمزي Symbolic Interctionism

(٤) نظرية الفينومينولوچيا Phenomenolgical Theory .أي النظرية التي تهتم بإبراز الظواهر الاجتماعية عن طريق وصفها العلمي للظواهر الاجتماعية الواقعية مع اجتناب كل تأويل أو شرح أو تقويم وسوف نسميها هنا الظاهراتية . وكل نظرية من هذه النظريات مكونة من عدد من النظريات الفرعية ، ولكن في هذا البحث سوف يتم شرحها

بصورة عامة ولن يكون بالإمكان عرض وتحديد الاختلافات في داخل النسق النظري الواحد .

١ - النظرية الوظيفية : -

هيمنت نظرية الوظيفية البنيوية علي المدرسة الأمريكية الاجتماعية وعلم اجتماع التربية حتي الخمسينات من هذا القرن ، وبدأ نشؤ هذا المنظور مع أوجست كومت (Auguste Comte) (1798-1857) في القرن التاسع عشر ، وقد واصلت هذه النظرية وجودها (برغم الصعوبات والعقبات التي واجهتها) بواسطة علماء اجتماع مختلفين مثل هربرت سبنسر (Herbert Spencer) (1820-1903) وأميل دوركايم (Emile Durkheim) ، ثم أعيد إحياؤها في الثلاثينات من هذا القرن بواسطة تالكوت بارسونز (Talcot Parsons) (Turner, 1978:19:38). وينظر الوظيفيون إلي المجتمع كنظام عضوي يلبي متطلبات أساسية وظيفية Pre-required Functios ويحتاج إلي توازن من أجل أن يستمر في بقائه . والسبب الذي أدي بهم إلي أن ينظروا إلي المجتمع بهذه الطريقة متعلق إلي حد ما بالاكتشافات البيولوجية في ذلك الوقت التي كانت ، مقارنة ، متقدمة ، والتي كشفت عن الغموض حول الأجهزة العضوية بجميع مستويات المملكة الحيوانية . لقد وجد أنه في داخل النظام البيولوجي الكامل أنظمة فرعية صغيرة تلبي حاجات وظيفية للكائن الحي . هذه الاحتياجات الوظيفية ضرورية لحالة التوازن للنظام البيولوجي المعين ، وبالتالي فهي ضرورية لبقاء الكائن البيولوجي .

ولقد ظن الوظيفيون أن هذه الفكرة ، أي فكرة أن الأنظمة الفرعية المختلفة تلبي احتياجات وظيفية مختلفة في النظام البيولوجي الواحد ، وأن هذه الاحتياجات الوظيفية الملباة ذات أثر علي توازن النظام الكامل ، يمكن تطبيقها بنفس الطريقة لتفسير حاجة المجتمعات إلي نظم فرعية متعددة تلبي حاجات وظيفية مختلفة لتؤدي إلي توازن المجتمع الواحد . بالإضافة إلي ذلك فأن تصنيف المملكة الحيوانية في نظرية التطور الداروينية بحسب تعقيد النظم البيولوجية للحيوانات المختلفة أوحي لعلماء الإجتماع بالفكرة الغامضة بأنهم يمكنهم تفسير وترتيب rank المجتمعات بحسب تعقيدها ، فالنظرية الداروينية تقضي ضمنا أنه كلما تعقد النظام البيولوجي للكائن الحي كلما كان تطوره متقدما (Turner1978:19-25) . لقد ظن علماء الإجتماع أنه يمكن شرح المجتمعات وإستمرارها بواسطة وظائفها ومستوي التوازن وتقسيم العمل الذي يمكن أن تحرزه المجتمعات المختلفة . ولقد ترجمت كلمة التوازن equilibrium في النظام العضوي إلي

الضبط الإجتماعي Social Order في النظام الإجتماعي Social System . ومن الممكن أن يقال بأن النظرية الوظيفية نشأت مع الثورة العلمية التي رافقها بزوغ المجتمع الصناعي . لذلك فهي تركز علي تقسيم العمل في المجتمع ، وعلي العلاقة بين الأجزاء من جهة والعلاقة المتبادلة بين الأجزاء والنظام الإجتماعي الكلي من جهة آخري ، وكيفية الإبقاء علي الحالة السوية للنظام أي التوازن Equilibrium .(Turner 1978:37)

الوظيفية والتربية :

استخدم التربويون النظرية الوظيفية في التربية لتفسير ظهور التربية ووظائفها والمتطلبات التربوية لوظائف بعينها . وقد انشغل المنظرون للوظيفة البنيوية في التربية بالتكامل والدمج الإجتماعي المبني علي أساس القيم المشتركة – الإجماع . وكانت وظيفة التربية بالنسبة لهم هي دفع الأفراد إلي أن يتصرفوا بطرق ملائمة للإبقاء علي المجتمع في حالة توازن . وبالإضافة إلي ذلك تنظر هذه المدرسة الفكرية إلي التوسع التربوي والتربية الجماهيرية Mass education في أمريكا علي أنها النتيجة التي تبعت الحرب العالمية الثانية كجزء من الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، والبقاء في هذه الحرب لأولئك الذين لديهم تفوق تكنولوچي . والتفوق التكنولوچي يتطلب الإستعمال الفعال لأقصي حد لما تملكه الدولة من موارد فكرية ، وهذا لا يمكن عمله إلا من خلال التربية ، وبالتالي فإن التربية تستخدم لوظيفة مزدوجة : (١) المحافظة علي الضبط الإجتماعي من خلال التلقين Indoctrination لقيم معينة و (٢) استخدام التعليم كقناة لانتقاء الأفراد الأكثر ملاءمة لتعزيز تفوق الأمة . ونتيجة لذلك اعتبر توزيع القوة العاملة علي طبقات ، أحد وظائف النظام التعليمي.

ويفسر هؤلاء المنظرون في علم اجتماع التربية نشوء النظام التعليمي الحديث وتوسعه كما يلي : –

(١) المهارات المتطلبة في الوظائف في مجتمع صناعي تزداد باستمرار بسبب التغير التكنولوچي ، الذي يؤدي إلي تغيرات تحدث في بنية العمل .

(٢) نسبة الوظائف التي تتطلب مهارات منخفضة تقل ونفس الوظائف ترفع من مستوي المهارات المتطلبة .

(٣) يجادل الوظيفيون بأن التعليم الجماهيري Mass education الرسمي يوفر التدريب إما في مهارات معينة ، أو في القدرات العامة الضرورية للوظائف التي تحتاج إلي مهارات عالية لأنه – أي التعليم الجماهيري الرسمي – بدأ نتيجة لعمليات التصنيع .

لذلك يستنتجون أن المتطلبات التربوية للتوظيف ترتفع بإستمرار .Karabel, & Halsey (,1977:119).

٢ - نظريات الصراع :-

أعيد إحياء نظريات الصراع في الخمسينات في التراث الماركسي واعتبر النموذج الذي قدمه الوظيفيون مبالغا في دور التكنولوجيا ويقلل من شأن وأهمية الصراع الأيديولچي في محاولات الأفراد الوصول إلي السلطة والنفوذ كعوامل أساسية في تفسير بقاء مجتمعات معينة وأنماط معينة في هذه المجتمعات . ومن ناحية أخري لم تكن الأوضاع الاجتماعية (الاستقرار) صالحة أو ملائمة لإزدهار ونجاح نظرية الصراع . وفي الستينات أصبح التغير هو السائد . وقد ساعد هذا مرة أخري علي إعادة إحياء نظرية الصراع في التراث الماركسي .(Karabel,& Halsey,1977:28)

وظيفية الصراع :- يري منظرو الصراع أن للصراع وظيفة هامة في استمرار المجتمع وتغيره ، بعكس النظرية الوظيفية التي تري أن الصراع لا وظيفي بل إنه مرضي ويؤدي إلي الانحراف لأنه يسهم في إنعدام الاستقرار الاجتماعي وهذا بالنسبة لهم مرضي (Pathogical) (Turner, 1978:142 and Zeitlin, 1973:104) ويركز القائلون بوظيفية الصراع علي الطبيعة الصراعية للواقع الإجتماعي فيقول منظرو الصراع بأن الصراع ، وبالتالي التغير الناتج عنه ، كلاهما نتاج محتوم أو متعزز إجتنابه للحقيقة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي . وذلك لأن اختلاف المصالح والقوي في المجتمع تجعل كل جماعة في المجتمع تستغل الآخري كلما أستطاعت إلي ذلك سبيلا ، وهذا يؤدي إلي ظهور التوتر . لذلك فإن هذه النظرية تركز علي أسباب الصراع وتغير المجتمعات بدلا من التركيز علي أسباب المحافظة Maintenance علي النظام الاجتماعي . إن هذه النظرية تنظر إلي ما يراه الوظيفيون كقيم سائدة وتقاليد وعادات وطبائع مؤسسية للمجتمع هي قيم سائدة وتقاليد وعادات وطبائع مؤسسية للجماعة المسيطرة علي الناس والتي فرضت علي غيرها من الجماعات المحرومة اقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا وهي جماعات مجردة من القوة . ويري الصراعيون أن القوة أو السلطة Power هي المتغير المستقل الجديد الذي يجب أن يستخدمه منظرو نظرية الصراع لدراسة الاستقرار أو التغير الاجتماعي (ويعتمد ذلك علي من يملكه) والقوة يمكن أن تكون في شكل الموارد الاقتصادية الرئيسية لمجتمع ما . ويري هؤلاء المنظرون أن الصراع يمكن أن يوجد داخل توزيع هذه الموارد الاقتصادية وهي جزء لا يتجزأ من التوزيع غير المتساوي لهذه الموارد . وإيضا

هذه الجماعة المسيطرة علي هذه الموارد هي الجماعة التي تمتلك القوة .

نظرية الصراع والتربية :- في التربية أيضا أخذت نظرية الصراع في الاعتبار . ويؤكد منظرو الصراع في التربية علي أن القوة هي المتغير الأكثر حسما في البنية التربوية وذلك في إطار وضع المتطلبات التربوية (1971:1002-1019), Collins ولذلك تقوم المدرسة بنشر القيم الاجتماعية لجماعة معينة من الناس في كل المجتمع (Dreeben !968,1977) . ويعزو هؤلاء المنظرون عملية الضبط الاجتماعي إلي هيمنة جماعة واحدة معينة وهيمنة فكرها علي الجماعات الآخري في المجتمع . وهم إذ يحللون النظام السياسي وعلاقته بالنظام الاقتصادي ، يلاحظون ما يلي :-

١) الجماعة المؤثرة في الحياة السياسية في المجتمع الرأسمالي هي نفسها الجماعة التي لديها قوة اقتصادية - رجال أعمال وصناعيون .

٢) بالإضافة إلي ذلك عندما تسيطر جماعة ذات مكانة اجتماعية علي التربية فأنها تحاول أيضا أن تعزز سيطرتها داخل منظمات العمل . وبالتالي فإن المتطلبات التربوية الوظيفية يمكن أن تخدمهم في نقطتين :

(أ) أن تختار أعضاء جددا لمراكز الصفوة الذين يشاركون معهم ثقافة الصفوة

و(ب) في المستويات الدنيا من التعليم يحصلون علي موظفين من الطبقات الدنيا والمتوسطة الذين اكتسبوا احتراما عاما لقيم الصفوة(Karabel & Halsey 1977:1-77) كما يري أصحاب هذه النظرية من أمثال كولين (Collin 1971) وبولز وجنتس (Bowles & Gintis 1976) أن النظام التعليمي نفسه في أمريكا عامل حاسم في إعادة إنتاج نفس شكل وطبيعة تقسيم العمل ؛ وذلك يعني أن النظام التعليمي نفسه انعكاس للبنية المهيمنة علي المجتمع الرأسمالي (Bowles and Ginitis (Karabell & Gintis 1976) (1976 وفي الواقع فإنهم يقولون إن فهم طبيعة النظام التعليمي في المجتمع الرأسمالي يعتمد علي فهم البنية الطبقية في المجتمع .

مقارنة النظرية الوظيفية بنظرية الصراع في التربية :-

لا يؤيد المنظرون للوظيفية الضبط الاجتماعي الذي يحدث من خلال العملية المدرسية Schooling فحسب بل يفترضون - أكثر من ذلك - أن هذه هي الوظيفة الملائمة والطبيعية للمدارس والنظام التربوي بوجه عام . بينما يري المنظرون لنظرية الصراع أن الضبط الاجتماعي من خلال التعليم يكون ناتجا عن علاقات القوي والبنية المهيمنة للنظام الاقتصادي الرأسمالي في مجتمع ما ، وأن هذا الضبط يقع لصالح فئة

ضد فئة أخري مما يعني أن عامل الظلم متوفر هنا . أي أنه بينما يري الوظيفيون أن الضبط الاجتماعي عامل محايد إن لم يكن إيجابيا ، يري منظرو الصراع أنه عامل سلبي بل وقد يكون مرضيا لأنه ضد التغير والتغير أساسي لدي منظري الصراع .

وهكذا نري أن كلا المدرستين الفكريتين تتفقان علي أن المدارس تسهم في إبقاء الطبيعة الطبقية للمجتمع ، وهذه الطبقية تكون عادة في صالح فئة معينة من الناس . إلا أن المدرستين الفكريتين تختلفان كثيرا في إجابتهما عن الأسئلة : لماذا يأخذ الضبط الإجتماعي الشكل الذي هو عليه ؟ ولماذا تعمل المدارس بهذه الصورة ؟ كما تختلف المدرستان في فهمهما للأسباب والأسس التي تجعل المجتمع يظهر لنا كما هو ظاهر ، والأسباب التي تجعل المدارس تعمل بالطريقة التي تعمل بها . إذ يري بعض المنظرين لنظرية الصراع أن النظام الاقتصادي الرأسمالي يعتمد بصورة رئيسية علي اللامساواة في توزيع مصادر القوة أو السلطة داخل النظم السياسية والاقتصادية . ويعتقد منظرون من أمثال بولز وجنتس أن المدارس الأمريكية تعمل لإعادة إنتاج هذه اللامساواة الموجودة أصلا في المجتمع الأمريكي (Karabel and Halsey 1977, Bowles 1971 Bowles & Ginitis 1976) هذا ، بينما يري الوظيفيون أن وظيفة المدرسة المشروعة بل والطبيعية هي المحافظة علي ما هو كائن من أجل الإبقاء علي المجتمع في حالة استقرار وذلك من خلال خلق إجماع علي قيم معينة للمجتمع بغض النظر عن قيم أي فئة في المجتمع تكون هذه القيم . بل إن منظرين للنظرية الوظيفية من أمثال بارسونز يرون أن المدارس تقوم بعملية التوزيع الاجتماعي Social allocation علي أسس موحدة وموضوعية والطريقة الموحدة لعملية الفرز هذه كما يراها بارسونز هي نوع من الآلية والميكانيكية التي تستخدم قدرات التلاميذ كمعيار أو مقياس لتصنيفهم . وهذه القدرات ممكن تحديدها عن طريق نوعين من الإنجاز : إنجاز معرفي Cogntive Achievement وإنجاز سلوكي ، أما الإنجاز المعرفي فهو نو علاقة بالمهارات الفنية والعلمية ، وأما الإنجاز السلوكي فهو نو علاقة بالمهارات الإجتماعية والأنماط والعادات والسلوك الحسن والمناسب للمواقف الإجتماعية المختلفة . هذا ويضيف الوظيفي بارسونز بأن الإنجاز السلوكي أكثر تحديدا من الإنجاز الإدراكي نسبة إلي أن المهمات العقلية سهلة نسبيا للتلاميذ نوي القدرات العالية . (Parsons 1977) .

بإختصار ، يختلف الوظيفيون عن الصراعيين في صياغة مشاكل التربية واللامساواة والطبقية في المجتمع إختلافا أساسيا :-

(١) فبينما يري بعض الوظيفيين أن المعرفة الفنية الممتازة للمتعلمين تعليماً عالياً

تؤثر علي كسبهم (دخولهم earnings) المرتفع ، يري الصراعيون أن الفروق المعرفية تقدم علي الأفضل تفسيرا جزئيا فقط لمنزلتهم الممتازة ويشيرون إلي عوامل في الشخصية بدلا من العوامل في الفروق المعرفية .

(٢) بينما يقدم الوظيفيون وصفا للعلاقات الموجودة بين النظام التربوي والمؤسسات الاجتماعية الآخري ، يقدم الصراعيون شرحاً للأسئلة :لماذا توجد هذه العلاقات ؟ وكيف تتغير هذه العلاقات بمرور الوقت ؟ ولماذا تبدو هذه العلاقات كما تبدو ؟ وما علاقتها بالمجتمع الأوسع خارج المدرسة ؟ ... الخ .

(٣) وبينما يميل الوظيفيون إلي أن ينظروا إلي عملية التنشئة الإجتماعية كواحدة من القيم العامة أو المشتركة التي تجعل المجتمع متماسكا معا ، يختبر الصراعيون (والذين هم أصلا ماركسيون جدد وفيبريون جدد) المصالح التي تشكل الأساس لهذه القيم ، وقد لاحظوا أن عملية التنشئة الاجتماعية تختلف بإنتظام حسب الطبقة الإجتماعية

(٤) وبينما ينظر الوظيفيون دائما إلي النظام التربوي كنظام يقدم فرصا للحراك الاجتماعي والاقتصادي للأفراد ، يؤكد الصراعيون عموما دور التربية في الإبقاء علي نظام من بنية اجتماعية اقتصادية لا متساوية (Karable & Halsey 1977 P.35).

(٥) وقد لوحظ أنه بينما يستخدم الصراعيون مفاهيم مثل المتناقضات والتطابقات في البنية الاجتماعية الاقتصادية لشرح التغير في وظيفة النظام التربوي وعلاقته في المجتمع ، يستخدم الوظيفيون في مقابل ذلك مفاهيم كالإنجاز لشرح وظيفة النظام التربوي وعلاقته في المجتمع .(Karabel & Halsey ,1977P.411) . وهكذا يؤكد المنظرون للوظيفية ولنظرية الصراع علي أن المدارس تسهم بدرجة كبيرة جدا في الضبط الاجتماعي وفي اللامساواة داخل بنية النظام الاجتماعي . ولكنهما يختلفان في نقدهما وطرحهما وفي تعريفهما للطريقة التي توظف بها المدارس لتحقيق الضبط الاجتماعي . كذلك وقد تستخدم المجموعتان من النظريات نفس الأدلة evidence ولكنهما تختلفان في تفسيرهما .

هذا وينتقد منظرو الصراع الوظيفيين بأنهم (١) يبالغون في دور التكنولوچيا في تشكيل النظام التربوي و (٢) يقللون في تقدير أهمية الصراع والأيديولوچيا و (٣) يهملون مضمون العملية التربوية .

ولكن بالرغم من هذا النقد إلا أن كثيرا من الباحثين يرون أن للوظيفية أهمية في تطوير البحث التربوي مثل ربط التربية بمؤسسات رئيسية في المجتمع كالاقتصاد والسياسة . وكذلك لتأكيدها علي مفاهيم مثل " الإجماع " و " الإتزان " و " الإنجاز " أثر

هام في التغير التربوي وفي تطوير البحث التربوي ، وكذلك لربط التقدم التكنولوچي وما سببه من تغير في بنية العمل التي أصبحت تتطلب بصورة مستمرة مهارات معقدة باستمرار ، أقول لربط هذا التقدم التكنولوچي بالنمو والتغير التربوي أثر هام في فهمنا لجميع هذه العلاقات المتشابكة بين التربية والعوامل المجتمعية الأخري Halsey & Karable(1977)P.9.19

ويقول كولين ، وهو صراعي ، بأن توسع النظام التربوي الأمريكي يعكس آثار التنافس بين مجموعات ذات مراتب إجتماعية إقتصادية عالية علي الثروة والقوة والنفوذ أكثر مما يعكس الحاجات الإقتصادية التقنية النامية . ويري كولين بأن النشاط الرئيسي للمدرسة هو تعليم الثقافة الرئيسية في المجتمع (داخل وخارج الفصل المدرسي) ، ومن هذا المنظور يتضح أنه ليس من المهم أن تعلم المدرسة تقنية فنية Techiical Knowlelge وإنما يجب أن تطبع وتغرس في الذهن أشياء مثل علوم الصرف ، طبيعة الملبس ، الذوق الجمالي ، القيم والطباع .. الخ ومن هذا المنظور نجد أنه لابد لنا من أن نختبر ما يحدث أثناء العملية التعليمية داخل المدرسة ، لأنه ما دامت المدارس تعلم الثقافات الرئيسية في مجتمع ما بغض النظر عن الثقافات الفرعية الأخرى للأقليات المختلفة ، يجب أن نعرف ملامح هذه الثقافات الرئيسية ولابد أن نتعرف العمليات التي بواسطتها تنتقل هذه الثقافة (Karable & Halsey 1977 P.2) وهذا يتطلب منهج بحث يختلف عما تعودنا عليه (كمي وماكرو) لننتقل إلي منهج بحث (كيفي ومايكرو) وهذا هو ما توفره لنا نظريات في علم الإجتماع الحديث في صورة نظريات التفاعل الرمزي والظاهراتية .

٣ - نظريات التفاعل الرمزي :-

يستخدم الإنسان الرموز ليتواصل ويتفاهم مع الآخرين من جنسه . وبسبب قدرتهم علي الاتفاق علي معاني معينة للأصوات والإيماءات الجسدية يستطيع الناس التواصل بفعالية . والتواصل الرمزي معقد حيث أنه يستخدم أكثر من كلمة أو لغة في أثناء تواصله ، حيث أن الناس يستخدمون إيماءات الوجه ونبرة الصوت والملامح وغيرها من إيماءات الرموز التي توصل الإنسان إلي معاني عامة لها وتوصل إلي فهمهما Turner . P . 327

لقد نشأت هذه النظرية في نهاية القرن التاسع عشر واستحدثت اهتمامات جديدة لعلماء الاجتماع مثل التحليل المصغر Micro analysis لبعض الظواهر الاجتماعية . وقد

كانت الأسئلة التي تمثل وجهة نظر علماء الإجتماع في ذلك القرن كالتالي : ما هي العلاقة بين الفرد والمجتمع ؟ وبأي الطرق يعكس الواحد الآخر ؟ وكيف يشكل المجتمع الفرد أو كيف يخلق الفرد المجتمع وكيف يبقيه ويغيره ؟ وبأي الطرق يمثل المجتمع وشخصية الفرد علاقة متبادلة ومنفصلة ؟ Turner P.309 . وقد تأثرت هذه المدرسة الفكرية كثيرا بجورج هربرت ميد George Herbert Mead . وقد حاول ميد أن يبين كيف يمكن للعقل والنفس الإجتماعية والمجتمع أن يظهروا ، وكيف يمكن المحافظة عليهم من طريق التفاعل .Turber P.316 ؟ ويفهم ميد العقل علي أنه عبارة عن عمليات بدلا من كونه بناء Turner P.317 فنظرية التفاعل الرمزي تركز علي كيفية قيام العمليات الرمزية بإرساء الأسس لاتخاذ الدور الاجتماعي role taking والتدريب الخيالي Imaginative rehearsal وتقويم الذات بواسطة أفراد يحاولون التكيف مع بعضهم البعض لفهم تركيبة البناء الإجتماعي ، وكيف يبقي ويحفظ وكيف يتغير Turner p . 324 ويؤكد منظرو التفاعلية الرمزية علي قدرة الإنسان علي خلق واستخدام الرموز . Turner P. 327

ويري ميد أن قدرة الإنسان علي استخدام وتفسير ما يسميه " الإيماءات المألوفة " أو المتعارف عليها Conventional Gestures مع المعاني العامة يمثل خطوة هامة في طريق تنمية العقل والنفس والمجتمع . فعندما يقوم الإنسان بإدراك وتفسير الإيماءات يكشف قدرته علي اتخاذ أدوار الآخرين ما دام يستطيع أن ينظر من منظورهم (من حيث الموقف ، الحاجات ، الرغبات والنزعات أو الميول لعمل شئ) ، وما دام يستطيع أن ينظر من منظور أولئك الذين يجب عليه أن يتعاون معهم من أجل البقاء ، فهو يستطيع أن يأخذ دورهم Turner p.317 . يؤكد ميد علي أنه بواسطة قراءة وتفسير إيماءات الآخرين ، يتواصل الناس ويتفاعلون ويستطيعون تبادليا قراءة بعضهم بعضا وتوقع استجابات بعضهم البعض ويتكيفون مع بعضهم البعض ، ويسمي ميد هذه القدرة " اتخاذ الدور " role taking ، وعملية اتخاذ الدور تعتبر آلية mechanism أساسية كي يظهر التفاعل . ولا يمكن للتفاعل نفسه أن يظهر بدون القدرة على قراءة الايماءات واستخدامها ووضع الشخص نفسه محل الآخرين . ولا يمكن للإنسان أن يتطور ولا لأنماط المنظمة الاجتماعية أن تتطور بدون التفاعل Turner p.328 .

الإنسان يخلق الرموز ويستخدمها . ويتواصل الناس مع بعضهم بالرموز ويتفاعلون عن طريق اتخاذ الدور role taking الذي يتضمن قراءة الرموز الصادرة عن الآخرين Turner p.329 . ويري بلمر Blumer أن المنظمة الاجتماعية يجب أن ينظر

إليها علي أنها عملية بدلا من كونها بنية أو بناء Turner p.333

كما يري بلمر التفاعل علي أنه في حالة تغير مستمر ، ولهذا ينظرإلي المنظمة الاجتماعية علي أنها غاية في المرونة والقدرة علي التشكل كما أنها غير واضحة المعالم Turner p.334 . ويحددها الأفراد المكونون لها كل حسب وجهة نظره .

لذلك لا يمكن أن ينظر إلي العمليات الرمزية للأفراد علي أنها وسيلة حيادية بحيث تعمل القوي الإجتماعية من خلالها ، بل يجب أن ينظر إلي هذه العمليات الرمزية الصادرة عن الأفراد علي أنها محددة للطريقة التي تشكل بها الأنماط الاجتماعية وتحافظ عليها وتغيرها علي الأقل من وجهة نظرهم Turner p.335

طرق بحث التفاعلية الرمزية (الملاحظة المشاركة) :

ولفهمهم الجديد للحقيقة الاجتماعية في مباشرة موضوع علم الإجتماع يحتاج منظرو التفاعلية الرمزية إلي طرق بحث جديدة : فعمليات التفاعل الرمزي تملي طريقة بحث لابد لها من أن تراعي المنظور الجديد لملامح الواقع العملي ، ويجب أن تتبني إجراء طرق بحث تشجع الفحص المباشر وغير المتحيز للحقيقة الإجتماعية كما تراها النظرية الجديدة .

وهي لهذا تحتاج إلي معالجة فنية خاصة بالعلاقات بين الأشخاص Inter-Personal technique Social becoming . وبواسطة هذه المعالجة الفنية يمكن القيام بعملية تفحص عن قريب لما يسمي بالصيرورة الإجتماعية Social becoming أو العمليات الإجتماعية Social Processes . لذلك يجب أن تكون طريقة النشاط البحثي عملية تفاعل رمزي من خلالها يتخذ الباحث دور الأفراد مواضيع البحث والمبحوثين .

وفي هذه الطريقة الجديدة ، علي الباحث أن يقوم بدور المرء المراقب ويحاول أن يري الوضع من خلال نظرة الشخص المراقب بدلا من أن يراه من وجهة نظر الباحث نفسه Turner, pp.334 - 337 .

نظرية التفاعل الرمزي والتربية :

أستخدم عدد قليل من الباحثين في علم اجتماع التربية طريقة بحث التفاعل الرمزي مثل رست Rist 1970m عندما حاول فهم طبيعة التفاعل بين التلميذ والمعلم في أحد مدارس رياض أطفال السود في أمريكا Ghetto Kindergarten School . وقد

كشف رست في بحثه هذا عن بعض ما يمكن أن يحدث في أثناء عمليات التطبيع الاجتماعي في فصل مدرسي واحد في هذه المدرسة . كذلك كشفت هذه الدراسة عن الآثار المباشرة لهذا التطبيع الاجتماعي علي نتائج (Out Comes) التلاميذ مثل الأداء .

هذا وبينما أثرت عمليات التطبيع الاجتماعي علي مخرجات التعليم النهائية ، فإن أثرها علي فرص الإنجاز الحياتية ، مازالت تنتظر الإستكشاف ، أما المتضمنات الأخري لبحث كهذا فسوف تناقش في نهاية هذه الدراسة ، لا إدعاء بأن هذا البحث المعين قد يساعد في فهم كيفية عمل العقل الإنساني ، فهو ببساطة يدرس خبرة التطبيع الإجتماعي في تعليم السود في أمريكا Ghetto Education . وكثيرا ما أستخدمت مؤلفات الإتجاه النقدي - طريقة بحث التفاعلية الرمزية التي هي عبارة عن الملاحظة المشاركة Participant observation مثل ليونيس (١٩٧٧) كما تستخدم بعض المؤلفات المهتمة بشئون المرأة في علم إجتماع التربية هذا المنظور أكثر من غيرها .Sears et al (1974,Trecker 1974)

٤ - النظرية الفيومينولوجية (الظاهراتية) :

أنشأ هذه النظرية العالم الألماني أدموند هوزر (هكذا ينطقه الأمريكان وإن هجي بطريقة مختلفة) Edmund Hasser (1859 -1938) ويخطو هوزر بإهتمامات نظرية التفاعل الرمزي خطوة إلي الأمام . فالنظرية تقول بذاتية الحقيقة الإجتماعية . أي أن معرفتنا للحقيقة الإجتماعية معرفة غير موضوعية وتتشكل بحسب المنظور الذي ينظر من خلاله البحث . فالحقيقة الاجتماعية تبني من قبل أفراد مستغرقين Involved فيها ، لذلك يظن الظاهراتيون بأنهم يجب أن ينتبهوا أكثر إلي السؤال : كيف يدرك الأفراد المنهمكون في أدوارهم الاجتماعية المختلفة واقعهم الإجتماعي ؟ بالنسبة لأصحاب هذه النظرية ، فإن موضوعية حقيقة العالم الخارجي تنقطع عن الوجود Ceases to exist متي كان هناك تفاعل اجتماعي ، فهم يرون أن العالم الذاتي Subjective world للأفراد (الممثلون) actors حقيقة في حد ذاتها ، والنظرية لا يجب أن تكون عما هو خارج الوعي بل يجب أن تكون عن " كيف وبأي الطرق يمكن للحالات الذاتية Subjective world للأفراد (الممثلين) actors أن تخلق ، تبقي وتتغير (Turner 1978,p.393) . أي أنهم يريدون أن يدرسوا الوعي نفسه كيف يخلق ، كيف يبقي وكيف يتغير ؟ ما هي المؤشرات التي تؤدي إلي وجود وعي لدي جماعة معينة أو فرد ما في جماعة معينة ... الخ ويعتقد منظرو الظاهراتية بأن للأفراد المختلفين إدراكات مختلفة للظاهرة الاجتماعية الواحدة ، لذلك فهم

يريدون دراسة إدراك كل فرد بدلا من دراسة إدراك كل فرد الباحث لوضع إجتماعي ما. وبهذا فهم يختلفون عن منظري التفاعلية الرمزية الذين مازالوا يريدون تفسير الباحث نفسه للوضعية أو الظاهرة الإجتماعية المعينة ، بينما يريد الظاهراتيون فهم إدراك الفرد المنهمك في الوضع الإجتماعي المعين ، وليس إدراك الباحث ، لأن الحقيقة الإجتماعية لا يمكنها أن تكون موجودة إلا إذا نظر اليها شخص ما . كما أنها يمكن أن ينظر إليها بإختلاف من قبل الأفراد المختلفين . وكل فرد في الواقع يشارك في خلقها ، والفعل فيها ، والتفاعل معها ، وتكوينها ، وإعادة تكوينها ، أو بنائها وإعادة بنائها Constructing it (and reconstructing it) . والظاهراتيون وأعون بأن " وعي " الأفراد المختلفين يلون الطريقة التي تدرك بها الحقيقة . ولهذا يتحدي الظاهراتيون العرف العلمي بأن العلم في هذا المجال يمكن أن يكون موضوعيا . بالإضافة إلي ذلك ، فالنظام في المجتمع بالنسبة لهم (الظاهراتيون) يبقي أو يصان بواسطة قدرة الناس علي إقناع بعضهم بعضا ، إن هناك في خارج الذات مجتمعا ، ونجد أن الناس يتصرفون وكأنهم يرون الحقيقة بصورة متشابهة، بل أنهم يعاملون بعضهم بعضا وكأنهم يمكن أن يجدوا الخصائص الأساسية ، بل كأنهم يصنفون الآخرين وفق عوامل مشتركة بينهم . لا أعرف عن بحث في علم اجتماع التربية استخدم هذه النظرية وإن كانت هناك بعض وجهات النظر القريبة منها .

بإختصار ، يلاحظ أن المدرستين الأخيرتين : التفاعلية الرمزية والظاهراتية تتشابهان إلي حد ما في طريقة تناولهما ودراستهما للحقيقة الإجتماعية المتغيرة ، إلا أن الظاهراتية تبتعد عن التقليد العلمي أن وجهة نظر الباحث موضوعية أكثر من غيره ، بل انها تأخذ وجهة نظر المدروس في الإعتبار عند تحليلها للحقيقة الإجتماعية المتغيرة . كما يلاحظ أن هذا ما تختلف فيه هاتان النظريتان عن سابقتيهما : (الوظيفية والصراع) فكل من الوظيفية والصراع تأخذان تحليلات الباحث ووجهة نظره علي أنها موضوعية . صحيح أن نظرية الصراع تري أن هناك نوعاً من الانحياز في نظرة الباحث للموضوع المبحوث إلا إنها تعتقد أنه عندما توضح الخلفية الاجتماعية والايديولوجية للباحث فإنها بذلك تقلل من لا موضوعية العلوم الإجتماعية . وهناك ملاحظة أخيرة يجب أن تطرح هنا وهي أن التفاعلية الرمزية والظاهراتية ليستا نظريتين اجتماعيتين تقليديتين وإنما هما تميلان إلي أن تكونا طرق بحث جديدة مبتكرة .

فيما سبق تم عرض النظريات الاجتماعية المختلفة في علم الاجتماع ، ورأينا مدي مساهمتهما في علم اجتماع التربية بصورة مبسطة . والآن نتجة إلي النظر في مدي قابلية هذه النظريات لشرح وتفسير أنماط الضبط الاجتماعي التي يلاحظها باحثو علم

اجتماع التربية الحديثون ومؤلفو المؤلفات المهتمة بشئون المرأة من استثناء للمرأة من الوصول إلي السلط ومناطق صنع القرار والنفوذ في المجتمع الأمريكي وذلك كنتيجة لما تمر به المرأة الأمريكية في النظام التربوي الأمريكي والتنشئة الإجتماعية في المدارس التي تغرس في المرأة قيما مختلفة عما يغرس في الرجال .

هل يمكن لهذه النظريات أن تفسر هذه الأنماط أم لا ؟

الجزء الثاني

في أي مجتمع طبقي يمكن جزئيا فهم الضبط الاجتماعي من خلال النظر في الطريقة التي تم بها الحفاظ علي الطبيعة الطبقية للمجتمع والطريقة التي تم فيها الإبقاء علي القوة وبنية السلطة والنفوذ في يد جماعة معينة لفترة زمنية ما ، وهذا يعني أن الضبط الاجتماعي يمكن أن يعين أو يقوم عن طريق فهم الأسباب الكامنة وراء استمرارية وبقاء اللامساواة في داخل البنية الاجتماعية ومن بينها بنية اللامساواة بين الجنسين ، فلننظر في الطريقة التي تم بها الحفاظ علي البنية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الأمريكي من خلال نظمه التعليمية .

علم اجتماع التربية فى مجتمع صناعى رأسمالى

يظن المشتغلون باجتماع التربية أن المدارس تساهم في الإبقاء علي هذه اللامساواة في المجتمع الأوسع (خارج المدارس) عن طريق إعادة إنتاج أفراد مختلفين في الشخصية وفي الكفاءات الأكاديمية لإشباع الحاجات المتعددة للمجتمع ذي البنية المتدرجة الطبقية . وقد وجد كل من سيويل وهولر (١٩٦٩)Sewell and Haller أنه كلما زاد نصيب الفرد من التعليم كلما كان مرجحا أكثر أن يحصل هذا الشخص علي وضع وظيفي أعلي . (Sewell et.al . 1969 : 82 - 92) كذلك وجد أن التحصيل الأكاديمي غالبا ما يكون مرتبطا بخصائص خلفية الطالب . وقد شهد الفكر التربوي الأمريكي كما لا بأس به من المؤلفات التي كتبت عن موضوع اللامساواة وما يسببها وكيف تسهم المدارس فيها في المجتمع الأمريكي ، وكيف تتم عملية إعادة إنتاج القوي الطبقية وبنية السلطة في المجتمع الأمريكي من خلال عمليات الانتقاء عن طريق الخبرة المدرسية . وأكثر ما يهم علماء اجتماعيات التربية هنا هو الآلية التي يتم بها تصنيف وإعادة إنتاج الأفراد من خلال خبرة التطبيع الاجتماعي في فترة دراستهم Their Schooling .

القدرات السلوكية في مقابل القدرات العقلية :

من وجهة نظر افتراضية يري كثيرون أن مستوي الذكاء يجب أن يكون المؤشر الرئيسي في تصنيف الأفراد في المدارس . ولكن المؤلفات تكشف بأن هذا ليس هو واقع الحال ، فقد أشار كل من بارسونز ١٩٥٩ Parsons ودريبن ١٩٦٨ Dreeben إلي أن عملية الاختيار في المدارس الأمريكية تؤكد علي البراعة في صنف معين من التصرفات ذات العلاقة بالمنظمة الاجتماعية السائدة في المجتمع الأمريكي .

ويوضح دريبن بأن التمييز في المدرسة لا يتم فقط علي أساس ما يسميه بالإنجاز المعرفي Cognetive achievement وإنما علي أشياء أخري ، غالبا ما تكون إجتماعية ، وذلك لأن المهام الفكرية تكون سهلة نسبيا علي التلميذ ذي المقدرة العقلية العالية . وفي حالات كثيرة يكون التحدي الأولي Primary Challange للتلميذ قدراته السلوكيه لا قدراته العقلية . ومن ثم فإذا كان هذا صحيحا فإن هذا يعني أن المنجزات المعرفية ليست عاملا حاسما في تحديد عمليات الاختيار في المدارس ، أو بمعني آخر فإن عمليات الاختيار التي يفترض أن تعتمد علي درجات مستوي الذكاء تحدد بعوامل أخري غير الذكاء .

ويؤكد دريبن وكولينز علي أن المدارس تعلم الإنجاز المعرفي كما تعلم الإنجاز السلوكي . ويشير دريبن إلي أن المدارس عندما تعلم الإنجاز السلوكي تصر علي نماذج سلوكية مثل الاستقلال ، الإنجاز ، العمومية Universality والجزئية Specifity ويعني بها أولاً الاستقلال ، أي أن يعتمد الطفل علي نفسه عند بدء دخوله المدرسة ويكون مسئولاً عن تصرفاته ، ويتعلم أن يقوم بأعماله لنفسه وليس كما تعود في البيت أن تلبي حاجاته من قبل أمه وأبيه .. الخ . ثانياً يتعلم الطفل من المدرسة أن الإنجاز شئ مسلم به لابد له من أن يقوم به ويعني القيام بعمل ما علي أفضل وجه وذلك وفق .مستويات موضوعة لهم من قبل النظام التعليمي (المعلم والمنهج والمدرسة ... الخ) . والإنجاز نشاط يقوم به التلميذ ، ليس بمعزل عن التلاميذ الآخرين بل إنه عمل جماعي . كذلك يتعلم الطفل التعميم ، أي أنه يتعلم أن يجرد الأشياء المفردة ويصنفها مع شبيهاتها . وهكذا يتعلم ما هو النجاح وما هو الفشل وما هو الإنجاز بصورة مجردة . وبذلك يقبل فشله علي أساس أنه لم ينجز جيدا .

وثالثا : يتعلم التلميذ الجزئية أو التجزئ Specifity أوالتخصص وهي العملية التي يقوم بها بعكس ما فعل في العمومية ، فهو يمكنه أن يحول الأفكار المجردة إلي مفرداتها ويصف كل حالة جزئية ، فمثلا يمكنه أن يقول إن فلاناً منجز وهذا تفريد للإنجاز . وقد

وجد أن هذه النماذج السلوكية (الإستقلال – الإنجاز ، العمومية والجزئية) ذات علاقة بالمنزلة الإجتماعية – الإقتصادية العالية High SES وما يعبر عن ذلك بوضوح أكثر أن بعض الطلبة إنجازهم في المدارس أفضل نتيجة أصولهم الإجتماعية المتميزة ، أي أن المنزلة الاجتماعية الاقتصادية SES قد تكون هي المحددة للنجاح الأكاديمي للطالب . ويؤكد جنكس وزملاؤه (١٩٧٢) Jencks et.al. أن المنزلة الاجتماعية – الاقتصادية والأصل العرقي Race تشكلان بعض المتغيرات الآخري التي تتلازم Correlate مع النجاح الأكاديمي .

الجنس والتعليم : –

في محاولة لربط المؤلفات المعنية بالطبقية الإجتماعية مع المؤلفات المهتمة بشئون المرأة للتعرف علي أثر الجنس علي الإنجاز الأكاديمي ، يلاحظ الشخص أن هناك تمايزا Differentiation في الطريقة التي تتوسط بها المدرسة في المجتمع الأمريكي حسب الجنس . فالإناث غالبا ما يطبعن كي يكن سلبيات ، معتمدات علي الآخرين ، غير مبتكرات أو ابتكاريات ، وذوات مستوي إنجاز منخفض . أما الذكور فكثيرا ما يطبعون علي أن يكونوا واثقين من أنفسهم ، جريئين ، ذوي الإحترام للذات ، خلاقين ، مبدعين . شجعانا وذوي إنجاز عال (Sears et.al 1974o) . وهذا يعني أن المدارس الأمريكية تكون العادات الإجتماعية بطريقة مخالفة ، أي أن طريقة تكوينها للعادات الإجتماعية تختلف في الذكر عنها في الأنثي ، بالرغم من أن الذكر والأنثي يدرسان في نفس المدرسة وفي نفس الفصل وبواسطة نفس المعلم .

دور النظرية النقدية في توجه البحث التربوي نحو استخدام نظريتي التفاعلية الرمزية والظاهراتية :

يري علماء النظرية النقدية أن علم اجتماع التربية التقليدي أهمل دراسة ما يحدث داخل المدرسة وداخل الفصل الدراسي مهتما فقط بالمدخلات وخصائصها والمخرجات والتغييرات التي تحدث لخصائصها .

لذلك فإن علماء النظرية النقدية يوجهون اهتمام الباحثين لما يسمي بالدراسات المصغرة (الميكرو) micro approach بدل المكبرة (الماكرو) macro approach وذلك من أجل التركيز علي ما يحدث أثناء العملية التعليمية داخل المدرسة وداخل الفصل الدراسي .

ويشبه علماء الإتجاه النقدي المدرسة في دراسات علم إجتماع التربية التقليدي بالمصنع الذي لديه مدخلات ذات خصائص معينة وهي في الغالب مدخلات خام تجري لها عمليات تصنيعية مختلفة لتخرج لنا مخرجات ذات خصائص أخري مختلفة عن تلك التي دخلت فيها وهي مخرجات مصنعة قابلة للاستخدام أو الاستهلاك .

ويسمي هذا النموذج البحثي the factory in-put out-put model ، ويسمي علماء الإتجاه النقدي المدرسة في هذا النموذج الصندوق المغلق black الذي لا نعرف ماذا يجري بداخله من عمليات (تعليمية أو التنشئة الإجتماعية) التي يصبح بعدها التلميذ مخرجاً قابلا للاستخدام في سوق العمل .

المنهج الخفي :

ومن أهم منجزات الاتجاه النقدي ، إيجاد مفاهيم ومتغيرات جديدة يهتم بها البحث التربوي وتؤثر علي المخرجات التربوية (الأفراد) . أما بالنسبة للمفاهيم فقد ظهر مفهوم المنهج الخفي تمييزاً له عن المنهج الرسمي ويعرف بأنه كل ما يحدث داخل الفصل المدرسي وداخل المدرسة من علاقات وعمليات وتفاعلات ، كما أنه يحتوي النظم واللوائح الداخلية للمدرسة والقوانين .. الخ ، كما أنه يحتوي علي كل ما لا يدرس أو يذكر في المنهج الرسمي في مقابل ما يدرس في المنهج الرسمي ، كما أنه يعتبر مواضيع مثل معرفة ما تلك التي تعتبر معرفة شرعية وتدرس في المنهج الرسمي ؟ وما الذي يحدد شرعية المعلومات التي تدرس في المنهج الرسمي .. الخ .

توقعات المعلم :

في بعض البحوث التي طبقت لاستنباط تأثير المنهج الخفي علي أداء الطلبة ، وجد أن ما يتوقعه المدرس من الطالب قد يكون له تأثير قوي علي الأداء الأكاديمي للطالب . ويقول رست إن توقعات المعلم لأداء وإنجاز التلميذ مبنية علي أساس المنزلة الإجتماعية الاقتصادية بدلاً من مستوي الذكاء . حيث لاحظ رست أن معلمة في مدرسة من مدارس السود في أمريكا لمرحلة رياض الأطفال صنفت الأطفال في الأيام الأولي من ابتداء الدراسة إلي متفوقين ومتوسطين وضعاف ، أي أنها صنفت قدراتهم التعليمية قبل أن تعرف مستواهم الفعلي. وشرعت المعلمة في معاملة كل حسب الفئة التي صنفته فيها، وبالتدريج أخذ التلاميذ كل حسب تصنيفه . ويقول رست إن التصنيف تم حسب مظهر الطفل، فالطفل المرتب النظيف المهندم المكوية ملابسه وضع في تصنيف المتفوقين ، أما

الطفل الذي تنبعث منه رائحة أكل أو غيره وأثار النوم بادية عليه وملابسه غير مكوية .. الخ صنف بالضعيف ، وهذه أشياء تعتبر مؤشرات للحالة الاجتماعية الاقتصادية التي ينتمي إليها الطفل ، فالطفل النظيف المرتب المهندم ذو الرائحة الطيبة يأتي من خلفية اجتماعية – اقتصادية عالية والآخر يأتي من خلفية اجتماعية اقتصادية دنيا .

ويشير بعض الباحثين الآخرين إلي أن توقعات المعلم قد تكون مبنية علي أساس الأصل العرقي race ، ولكن هؤلاء الباحثين لا يبدو يضمنون بحوثهم متغير الجنس كعامل يمكن أن يؤثر علي توقع المعلم أو المعلمة . ومع ذلك يمكن الحصول علي معطيات في المؤلفات المهتمة بشئون المرأة التي يمكن أن تدعم فكرة أن توقعات المعلم أو المعلمة يمكن أن تبني علي أساس الجنس كما تفعل مع الأصل العرقي والمنزلة الاجتماعية الاقتصادية (Horner 1974 and levy , 1974).

ويري الكثير من الباحثين وخصوصا أصحاب الاتجاه النقدي والمؤلفات المهتمة بشئون المرأة أن المنزلة الإجتماعية – الاقتصادية ، والأصل العرقي والجنس ليس لها أدني علاقة بالقدرات الفعلية للطالب حيث يرون أن الفروق الموجودة بين هذه المجاميع فروق مكتسبة وليست فطرية ، أكتسبوها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية ، ونجد الطالب يتشرب رأي المعلم أو المعلمة فيه وبالتالي يعكسه ، أي يميل الطالب إلي أن يحقق توقعات المعلم . وبالتالي فقد يتوقف إنجاز الطالب علي توقعات المعلم منه ، كما أشير سابقاً . ثم إن إنجاز الطالب في المدرسة ، يحدد تحصيله الأكاديمي . وهذا بالتالي قد يحدد تحصيله الإقتصادي في المجتمع الأوسع .

أما بالنسبة لموضوع أثر المهارت السلوكية ، التي تدرس من خلال المنهج الخفي (مثل تفاعل المدرس والتلميذ ... الخ) علي المستقبل الاقتصادي للفرد فيخبرنا دريبن أن هذه القدرات السلوكية والاجتماعية يمكن أن يحسب لها حساب في النجاح الاقتصادي . وهذا يعني أن الإناث ، السود والطلبة من أصول أو خلفيات اجتماعية – اقتصادية متدنية متضررون ثقافيا وإقتصاديا وإجتماعيا ليس فقط بمقتضي خلفياتهم الاجتماعية وجنسهم ولونهم وإنما ايضا متضررون بمقتضي الطريقة التي تطبعهم بها المدارس . وبالتالي يكون الفشل في الحياة الاقتصادية أمرا متوقعاً لهذه المجموعة من الناس ، بالإضافة للإناث من جميع فئات المجتمع ، فحتي الإناث اللواتي ينحدرون من خلفيات اجتماعية اقتصادية عليا محرومات تعليميا ويمكن أن يفشلن في حياتهن الاقتصادية (Horner 1974 .. abnd Spencer 1974).

النظرية الوظيفية والتعلم السلوكي :-

بالرغم من أن دريبين يعترف بأن الإنجاز المدرسي غالبا ما يعتمد علي الإنجاز السلوكي بدلا من أن يعتمد علي الإنجاز المعرفي ، وبالرغم من أنه يعلم أن الإنجاز السلوكي يعتمد ليس فقط علي التطبيع الإجتماعي المخالف في المدرسة وإنما يعتمد علي خلفية الطالب الاجتماعية ، فهو (دريبن) مثل بارسونز يري أن المدارس مؤسسات محايدة Neutral agencies تميز بين الأفراد بحسب مستوي القدرة التي يمتلكونها . ويقول كل من دريبن وبارسونز إن الأطفال يذهبون إلي المدارس بمستويات مختلفة من القدرات أي أنهم لم يكونوا متساويين بالنسبة لمستوي قدراتهم عندما بدأوا الذهاب الي المدرسة ، لذلك فطبيعي أن تكون مخرجات التعليم غير متساوية . وبالنسبة لهما (دريبن وبارسونز) فإن المدارس تخدم في توزيع الثروات الإنسانية ، في داخل بنية الأدوار الاقتصادية – الاجتماعية في مجتمع البالغين .

وهذه وظيفة ضرورية للمدارس في المجتمع التكنولوچي الذي لديه حاجات منوعة لقوي عاملة ماهرة . ومن الواضح أن هذا الرأي ينضوي تحت تراث النظرية الوظيفية البنيوية . فالوظيفيون يعتقدون بأنه من أجل أن يعمل المجتمع بكفاءة يجب أن يكون هناك اختلاف بين العاملين فيه . وكما رأينا سابقا يؤكد الوظيفيون علي المفاهيم التالية :

تشكيل القيم Value formation ، الإجماع Consensus علي قيم موحدة للمجتمع والتوازن equilibrium في المجتمع . لذلك فالمدارس بالنسبة لهم تساعد علي صياغة هذه القيم وتتدخل لتوفير الإجماع عليها . وتسهم المدارس أيضا في توزيع الناس بطرق مختلفة علي القوي العاملة ، وذلك يساعد علي توفير الاتزان في المجتمع . وإذا كانت المؤلفات التي أشرنا إليها في هذه الدراسة تري أن المدارس تقوم بكل هذا ، فإن السؤال هو : هل تقوم المدارس بكل هذا بإنصاف ؟

عندما نضع في أذهاننا أثر المنهج الخفي علي الإنجاز الأكاديمي للطالب يكون بيّناً أنه حتى لو كان للطالب قدرات معرفية أو عقلية جيدة ، ولكنه ينحدر من منزلة اجتماعية – اقتصادية متدنية أو كان أنثي أو كان أسودا فإنه من المرجح أن لا يستطيع التغلب علي المصاعب التي تواجهه في أثناء عمليات الأختيار . إذن فإن الإجابة علي السؤال : هل توزع المدارس الناس علي بنية القوي العاملة بإنصاف ؟ هي بالنفي . ولكن الوظيفيين من أمثال بارسونز ودريبن وكولين مازالوا يظنون أن عمليات الاختيار في المدارس تتم بإنصاف وهي عمليات عادلة ، بل إنهم يضيفون أنها تتم علي أسس معيارية موحدة ، وأن تلك الطريقة هي طريقة موضوعية وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن

للمدارس أن تقوم بتصنيف وتوزيع الأفراد في بنية العمل في مجتمع البالغين ، والسبب في اعتقادهم ذلك هو أن الطلبة المنحدرين من عائلات تنتمي إلي الطبقات المتوسطة العليا ذوو مميزات أكثر من غيرهم بفضل خلفيات عائلاتهم ، حتي بالنسبة لقدرتهم السلوكية . لذلك فمن المرجح أن يقع الاختيار علي أبناء هذه الطبقة ليكملوا دراستهم ، وبالتالي تكون فرصهم للنجاح الاقتصادي أفضل . وفي هذا المجال من المهم طرح السؤال : ماذا يحدث للإناث اللاتي ينحدرن من عائلات تنتمي إلي الطبقة المتوسطة العليا خلال عمليات الاختبار ؟ هل سيتم فرزهن كما يتم فرز ذكور هذه الطبقة ؟

أي هل سيستفيدن من انتمائهن إلي طبقتهن المتوسطة العالية كما يستفيد قرناؤهن الذكور ؟

أثر الجنس علي القبول في التعليم العالي :

تجد وبستر وزملاؤها (Webster et . al . 1979) أن الإناث والسود يواجهون عقبات أكثر من غيرهم في الحصول علي قبول في الجامعة . وتري غريفثز Griffiths (1980) أن التعليم العالي في إنجلترا مغلق في وجه الإناث ما عدا كليات التربية وغالبا ما تتواجد الفتيات في مقررات دراسية وكليات ذات منزلة منخفضة وذلك بسبب عدم حصولهن علي تقديرات عالية وكذلك بسبب ما يتوقعه منهن القائمون علي سياسات القبول حيث يظنون أنهن لن يستمروا في الدراسة أو في العمل بعد الدراسة ، وأنهن غير متفرغات وأن الفتيات يذهبن إلي الجامعة كي يحصلن علي زوج مناسب . كما أنه يمكننا هنا أن نضرب مثالا علي سياسة القبول في جامعة الكويت حيث تطلب كلية الطب نسبا من الطالبات أعلي مما تطلبه من الطلبة للقبول في كلية الطب ، ولا يستبعد أن تضع سياسات القبول في دول اخري العراقيل أمام الإناث في الكليات المرموقة ، والقبول في الجامعة جزء من عمليات الإختيار في النظام التعليمي ، كذلك فإن التعليم الجامعي متطلب هام لمنزلة وظيفية عالية . وهذا يعني أن الإناث يقصين عن الدخول إلي الجامعة ، ولا حاجة بنا إلي أن نقول إن هذا سوف يحدد منزلتهن الوظيفية وبالتالي موقعهن في بنية السلطة .

النساء والمراكز القيادية :

وتستنتج استلر Estler 1975 في مقالها " النساء والقادة في التعليم العام " أن النساء يتركن في الصفوف الدنيا من هذه المهنة التعليمية مع أن هذه المهنة تعتبر مهنة

نسوية تقليديا في الولايات المتحدة الأمريكية (M.Carey Thomas. 1974) . وتذكر بحوث أخري أن النساء دائما يتركزن في الصفوف الدنيا في عدد من المهن ، فمثلا الأطباء في معظم الأحيان رجال ، أما المرضون في معظم الأحيان فهم نساء (Hartley, 1974, Baruch, 1974, Tiedt 1974) ولذلك تكون النتيجة أن النساء يقصين من المراكز القيادية وبمعني آخر تصبح النساء ذوات منازل أدني من الرجال .

يقول دريبن إن المدارس مؤسسات محايدة للحراك الإجتماعي . ولكن كما رأينا فإن التفرقة تأخذ مكانا في خبرة التطبيع الإجتماعي ، وهذه التفرقة ليست مؤسسة علي القدرات المعرفية ، بقدر ما هي مؤسسة علي التقسيم الطبقي للعمل ، والأصل العرقي والجنس كما يضعها كل من بولز وجنتس ، وتطابق هذه التفرقة تقسيم العمل التدرجي في المجتمع الأوسع (خارج المدارس) . وبمعني آخر : هؤلاء الذين لديهم معرفة ولديهم ارتباط مع الثقافة الرئيسية في المجتمع بفضل خلفيات عائلاتهم وجنسهم وعنصرهم ، هم علي الأرجح الذين سيكون لديهم تعليم أفضل وبالتالي مكانة وظيفية أفضل .

باختصار ، فإن الترقي الوظيفي في المجتمع الأمريكي بصورة عامة مؤسس علي الكفاءة الأكاديمية . لكن الكفاءة الأكاديمية تعتمد علي الإنجاز التعليمي المبكر ، والإنجاز التعليمي المبكر غالبا ما يعتمد علي المنزلة الاجتماعية – الاقتصادية ، الجنس والأصل العرقي . لذلك فالمدارس قد تعيد إنتاج التقسيم الطبقي للعمل . ومن ثم فمن أجل أن يصل شخص ما إلي القمة يجب أن يكون هذا الشخص في معظم الأحيان أصلا من القمة أي أن خلفيته الاجتماعية والاقتصادية تنتمي الي القمة أو أنه ينحدر من عائلة تنتمي إلي القمة .

الوظيفيون والمرأة :-

يقول الوظيفيون بوظيفية تقسيم العمل ثم وظيفية التخصص في العمل ، وبالتالي وظيفية الجنس كأساس لهذا التقسيم . ويقولون إن الاختلاف البيولوچي يحدد الدور الاجتماعي وبالتالي يحدد المنزلة الإجتماعية المختلفة . فهم يرون أن النساء يوزعن علي القوة العاملة بطريقة مختلفة عن توزيع الرجال علي القوة العاملة وذلك لأن العمل ليس جزءا من وظيفتهن البيولوچية الطبيعية ، حيث أن الوظيفة للنساء هي إنجاب الأطفال وتربيتهم ، أي إعادة إنتاج الموارد البشرية . ويدعون أن الطبيعة البيولوچية للنساء ترسم وظائفهن في المجتمع . فالمدارس إذن والمجتمع يعطيان للنساء فرصا عادلة لإثبات أهليتهن وكفاءتهن ، ولكن النساء يذهبن إلي المدارس بمستويات من القدرة أقل من

مستويات القدرة لدي الرجال وهذا هو الشئ الرئيسي الذي يجعل إنجازهن الوظيفي أقل من الرجال .

نقد النظرية الوظيفية : -

المشكلة مع الوظيفيين أنهم لا يستخدمون الزمن في تحليلاتهم ، أي أن عامل التاريخ في أي نظام يدرسونه ، مفقود ، وبالتالي فإن تحليلاتهم مبتورة من جذورها . وهي في معزل عن الزمن ، وبالتالي في معزل عن مضمونها وحيثياتها التي يمكن أن تتدخل في الوضع الكلي المدروس . وهم ينظرون الي المجتمع كشئ ساكن ونظام غير متغير ، وذلك كله لأنهم لا يضعون تاريخ الوضع الكلي في الاعتبار عند دراسته . وبالتالي ، فإن التغير بالنسبة لهم مرضي Pathological .

قد يكون شرح الوظيفيين ، أو بالأحري وصفهم النظام ، علي نحو دقيق ، لكنهم لا يتخطون مرحلة الوصف ، لذلك فالصورة التي يقدمونها دائما غير كاملة . فهم يحددون قيما ويجعلون المجتمع يدور حولها . ويحددون وظائف وحاجات لكل نظام اجتماعي ويفترضون أن إنجاز وإشباع هذه الوظائف والحاجات هو الغرض النهائي لهذه النظم . وبهذا فهم يعزلون النظم الاجتماعية عن واقعها الاجتماعي ولذلك فإن تحليلاتها لا تكاد تمس الواقع ، وتميل إلي أن تكون تحليلات يوتوبية Utopian .

نظريات الصراع واللامساواة والضبط الاجتماعي :-

يري المنظرون لنظرية الصراع في التربية مثل بولز وجنتس أن الطريقة التي توجه بها المدرسة عملية الضبط الاجتماعي مثل طبقية قوة العمل لا تعكس فقط نموا غير متساو (بمعني أن يأتي الأطفال للمدارس بمستويات قدرات ومهارات مختلفة) وإنما تعكس أيضا علاقات القوي الداخلية لمؤسسات العمل الرأسمالية (Bowls & Ginitis p.143) ، وكما اشير سابقا بالنسبة لمنظري الصراع في التربية ، فإن إدخال التعليم النظامي كان نتيجة لظهور المجتمع الصناعي . ويقول بولز وجنتس إن متطلبات التعليم أدخلت في البداية نتيجة لعلاقات القوي الداخلية في النظام الرأسمالي . والنظام الرأسمالي مبني علي أساس توزيع غير متساو للمصادر الاقتصادية وبنية القوي . ويضيف الباحثان ، أن المدارس تساعد علي قبول وجعل التفرقة الطبقية تبدو شرعية ، وذلك من خلال وضع متطلبات تربوية . وقد أدخل هذا بحد ذاته نتيجة للنظام الصناعي الذي يحمل في داخله علاقات غير متساوية .

مميزات نظريات الصراع علي النظرية الوظيفية :-

ويستخدم منظرو الصراع من جهة أخري ديناميكية الواقع الاجتماعي في تحليلهم له لذلك فشروحهم تتصف بأنها أكثر ارتباطا بالواقع الاجتماعي الحي من شروح منظري الوظيفية . إنهم قد يستخدمون نفس المعطيات والبيانات والنظم التي يستخدمها الوظيفيون ، ولكنهم يبحثون عن متغيرات أخري غير المتطلبات الأساسية الطبيعية natural prerequisites للنظم الاجتماعية التي عن طريقها تؤدي وظائفها التي يعتقد الوظيفيون أنها خلقت من أجلها . فأصحاب نظرية الصراع يستخدمون التاريخ لتفسير الوضع الإجتماعي الواحد . لذلك فهم يلفتون النظر إلي فروض واقعية أكثر عن اللامساواة الاجتماعية مثلا كظاهرة اجتماعية مدروسة . صحيح أنها مجرد فروض ولكنها أكثر واقعية من عزو كل شئ للوظائف الطبيعية . الوظائف الطبيعية قد تكون جيدة في شرح النظم البيولوچية ، بينما قد لا تكون كافية لشرح النظم الاجتماعية . وذلك لأنه في النظام الاجتماعي توجد أبعاد أكثر من الوظائف الطبيعية للنظام إذ أنها تستلزم السلوك أو التصرف الإنساني الذي هو متنوع وغير ثابت ومن الصعب التنبؤ به .

نظريات الصراع والمرأة :

عندما يدرس أصحاب نظرية الصراع موضوع المرأة يضعون أشياء أخري غير الوظائف الطبيعية للمرأة في الاعتبار . إنهم ينظرون إلي المرأة من داخل البنية المجتمعية ، بدلا من النظر إليها منعزلة عنها ، ففي تحليلاتهم عن المرأة يهتمون بالبنية القانونية والاقتصادية للنظام وبتاريخ بنية النظام . فهم ينظرون لتطور المجتمع الصناعي كعامل متفاعل مع ما قد يحدث للمرأة . وهم يعترفون بأن المرأة عوملت بطريقة مخالفة في المدرسة عما عومل به الرجل ووزعت توزيعا مخالفا عما وزع به الرجل في القوة العاملة ولكن كون المرأة أمراة فقط ليس سببا لذلك الاختلاف في المعاملة ، لأن النساء لسن القطاع الوحيدالذي يعاني من المعاملة غير المنصفة . إذ الأقليات تعاني من نفس المشاكل التي تعاني منها المرأة في المجتمع الأمريكي .

نقد نظرية الصراع :

إن الاعتقاد القائم بين منظري الصراع بأن الصراع والقوة هي الأسباب الرئيسية وراء اللامساواة في المدارس وفي توزيع الناس علي القوي العاملة ، يبدو أنه مبالغ فيه .

كما أن نظرية الصراع تبالغ في دور الصراع في أنه وراء استمرارية وتغيير هرمية المجتمع ومشاكل المجتمع الآخر من لا مساواة وفقر وحرمان ، فإذا كانت هناك هرمية إجتماعية (وهناك بالفعل هرمية اجتماعية ، ولابد من الملاحظة هنا أن الهرمية بطبيعتها تحتوي علي اللامساواة) فالابقاء عليها يعني الابقاء علي اللامساواة المتضمنة في تلك الهرمية . وكما رأينا فإن النظام التعليمي عزز اللامساواة والهرمية في المجتمع عن طريق تدعيمه لما هو موجود في المجتمع من بني غير متساوية . صحيح كما يقول كولين عندما تهيمن مجموعة من الناس علي بنية القوة ، فإن هذه المجموعة تضع متطلبات تربوية للوظائف من شأنها أن تكرس النظام لصالحها ، وأنه لمن المتوقع أن تعكس المتطلبات التربوية مصالح هذه المجموعة من الناس . ولكن هذا لا يكفي لتفسير اللامساواة في المخرجات المدرسية . فقد لاحظنا مثلا ، أن المنهج الخفي ، من خلال تفاعل المدرس والتلميذ ، له تأثير علي إنجاز الطالب ، وهذا التأثير يبدأ مبكرا (في مرحلة الروضة في بحث رست)، وفي هذه المرحلة (الروضة) لا نجد أن المتطلبات التربوية للوظيفة قد بدأت بعد ، فهناك تعددية في بنية المجتمع نفسه (الطبقية بكافة مستوياتها) وهناك وعي ، أو لا وعي للمعلمة التي قامت بتدريس أطفال رست ، وهناك مؤشرات للإنتماء إلي طبقة أو أخري . وهناك تفاعل رمزي وغير رمزي ، سلوكي ولا سلوكي وفعلي وشفوي ولا شفوي .. الخ وقد استخدمت معلمة الأطفال في بحث رست دون وعي منها مؤشرات الطبقة (كالرائحة ، والنظافة والترتيب) عن طريق التفاعلات الرمزية وغير الرمزية ... الخ في تصنيفها للتلاميذ إلي عال ومتوسط ومنخفض القدرات منذ الأيام الأولي لهم في المدرسة . وقد أثر هذا التصنيف علي أداء وإنجاز وبالتالي تحصيل التلاميذ كل حسب طبقته الاجتماعية . هنا نلاحظ أن وعي المعلمة أو لا وعيها الذي هيمنت عليه مفاهيم الطبقية هو الذي أدي إلي عملية تطبيع إجتماعي مخالف . ومن هنا فإن القوة لا يمكن أن تكون السبب الوحيد وراء اللامساواة في المدارس والتعليم ، وكذلك لا يمكن للقوة أن تكون السبب الوحيد وراء اللامساواة في التوزيع في سوق العمل ، إذ يبدو أن هناك الكثير من المتغيرات المتداخلة التي تؤدي إلي اللامساواة في المخرجات التربوية التي بدورها تؤدي إلي لامساواة في سوق العمل .

وتبدو مقدرة نظرية الصراع علي التفسير محدودة وخصوصا في حال تعليم المرأة ومشاركتها في القوة العاملة . إذ لو كانت القوة هي السبب الوحيد وراء اللامساواة في التعليم المدرسي لأستفاد جميع أفراد الجماعة المتميزة من الامتيازات التربوية التي تغيرت لصالح هذه الجماعة ، ولكن يلاحظ أن بعض الأفراد في هذه الجماعات المتميزة

محرومون من هذه الإمتيازات . وسأضرب هنا مثلاً ليوضح ما أعنيه : من طبيعة الطبقة الاجتماعية الاقتصادية أن يكون فيها أن ينتمي إليها نساء ورجال وأطفال صغار وكبار الخ ، يلاحظ أن النساء المنتميات لهذه الجماعة مازلن يعانين من التفرقة ضدهن ، فماذا يحدث للنساء اللواتي ينتمين إلي هذه الفئة الاجتماعية التي تنعم بمميزات اجتماعية واقتصادية وثقافية ؟ لقد وجدنا في بعض المؤلفات أن النساء ، حتي المنتميات منهن إلي فئة اجتماعية مميزة لسن مميزات في النظام التربوي : (مثل) ١ - إقصائهن من القبول في التعليم العالي .

٢ - وكذلك يتم تطبيع النساء بطريقة مخالفة في المدرسة مما يؤثر علي فرص النجاح في الحياة الاقتصادية كما سبق أن أوضحناه .

٣ - غالبا ما يتم استبعاد النساء أثناء عمليات الاختيار كما بينا سابقا ولديهن معوقات أكثر مما لدي الرجال من نفس الطبقة في فرص القبول في الجامعات .

٤ - وكذلك غالبا ما يتم استبعاد النساء من المساهمة في الوظائف ذات المنزلة العالية كما ظهر سابقا .

٥ - وأيضا غالبا ما نجد النساء بصورة مكثفة في الصفوف الدنيا من النظام الاقتصادي .

إذن ماذا يحدث للنساء اللاتي ينتمين إلي نفس المجموعة المتميزة التي استولت علي القوة ؟ لماذا يوزعن باختلاف عن زملائهن من الرجال في نفس الفئة الاجتماعية ؟ هل يقترح منظرو الصراع أن هناك طبقة غير مرئية تسمي طبقة المرأة التي تنتمي إليها كل النساء بغض النظر عن المنزلة الاجتماعية الاقتصادية التي ينتمي اليها ؟ ومن هنا فعندما يتحدث علماء الاجتماع عن المنزلة الاجتماعية - الاقتصادية ، ألا يعتبرون النساء جزءا منها ؟ أم أن علماء الاجتماع يفرقون بين منزلة اجتماعية اقتصادية عالية مقتصرة علي مجموعة من الرجال الذين لديهم القوة ، ومنزلة اجتماعية اقتصادية دنيا كطبقة من الناس تتضمن نساء ورجالا من منزلة اجتماعية - اقتصادية دنيا بالإضافة إلي النساء من طبقة اجتماعية متوسطة وعليا متوسطة . إن هذا بالطبع منطقي غير معقول ، ولكن وضع المرأة في العلوم الاجتماعية أيضا وضع غير معقول . هذه الأسئلة أعلاه جادة وتحتاج إلي أجوبة لتحدد ما إذا كان تحليل منظري الصراع حقا يستطيع أن يفسر استمرارية وضعية المرأة في النظام التعليمي وفي القوة العاملة في المجتمع الأمريكي ككل بل في جميع المجتمعات .

وفي الواقع فإن استمرار هذه المشاكل في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية

بصورة عامة ، والمشاكل التي تصادف نظرية الصراع أو غيرها من النظريات في تفسير الحقيقة الاجتماعية Social Reality قد يكون بسبب بنية المعرفة نفسها .

فالحقيقة الاجتماعية متعددة وكلية وشاملة وتحدث بأنية ، ولكن المعرفة لا يمكن لها أن تصفها علي هذا النمط بل لابد من أن تصفها خطوة خطوة ، لذلك تأتي المعرفة مشوهة للحقيقة أو بالآحري لبنية الحقيقة ، فالمعرفة لا يمكنها أن تصور الحقيقة الاجتماعية بأنية كما توجد وككل واحد بل لابد لها من أن تقسمها وتجزئها ثم تضعها في نظم قد لا تطابق الواقع . وعموما فالمعرفة مبنية بطريقة تتضمن الهرمية فيها . أي أن هناك مجموعة من الأفكار ومجموعة فرعية من الأفكار أو فرضيات عامة . فرضيات أدني أو فرعية . إن الطبيعة الهرمية للمجتمع – فيما يبدو – لم تنعكس فقط علي النظام التربوي كما يقول بولز وجنتس ، وإنما انعكست أيضا علي الطريقة التي بنيت أو ركبت بها المعرفة . إن الأشياء في المعرفة تجمع في فئات Categories ، مع أن الأشياء قد لا تكون مرتبة هذا الترتيب في الواقع .

والحقيقة أن السبب في ذلك هو اللغة ، فاللغة تتطلب منا أن نكون أحاديين في شرحنا للحقيقة ، ولا تستطيع اللغة أن تشرح الحقيقة الاجتماعية دفعة واحدة بكل تعدداتها وأشكالها وتفاصيلها ، بل لابد لها من أن تبدأ في تنظيمها بطريقة ما . وهذا يطرح السؤال : ولكن هل هذا الشرح يصور الواقع إذا كانت أفكارنا التي نعبر عنها في اللغة لا تعكس الواقع بصدق كما هو . فما هي أهمية تجميع الأفكار بترتيب متقن في فهمنا للحقيقة ؟ وما ميزة تجميع وترتيب الأفكار بطريقة لا تعكس الواقع ؟

وإذا كانت المعرفة مركبة بطريقة هرمية ، فهل هذا هو كل ما هنالك عن الحقيقة الاجتماعية ؟ أعني أن الهرمية ليست هي الشئ الوحيد في الحقيقة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي Social reality . وبالتالي إذا كانت المعرفة تعكس بصدق الهرمية والتي هي جانب واحد من الحقيقة ، إذن فهي ليست صادقة تماما . لذلك أعتقد أنه إذا كانت نظريات كنظرية الصراع والنظرية الوظيفية أو أي نظرية تعجز عن أن تكون قادرة علي شرح أو تفسير الأحداث التي تأخذ مكانا في الواقع ، فالسبب غالبا ما يكون كامنا في طريقة تكوين أو بناء النظريات . وإذا كانت هذه النظريات مهتمة أكثر بتفسير ظاهرة دون أخري ، فسوف تعكس الظاهرة التي تهمها مهما تكون. لذلك فنظرية الصراع قادرة علي شرح الصراع في البنية السياسية والاقتصادية في المجتمع ، ولكنها تفشل فس شرح ظاهرة أخري مثل وضع

المرأة في بنية التربية والإقتصاد . سوف أنتقل كي أناقش نظريتي التفاعل الرمزي Symbolic Interactionism والظاهراتية Phenomenology لأنهما تقتربان أكثر من فهم الظاهرة بالطريقة التي سبق أن أوضحناها .

التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism والتربية : -

لم تستخدم النظرية التفاعلية الرمزية علي نطاق واسع في علم اجتماع التربية كما أستخدمت كل من نظريتي الوظيفية والصراع . ولكن طريقة البحث التي تنادي بها النظرية قد استخدمت خصوصا في أدبيات شئون المرأة Feminist Litrature وبواسطة القليل من علماء الإتجاه النقدي . Critical Sociologists of education .

ففي البحوث القليلة التي أستخدمت فيها هذه النظرية ومنهج بحثها ، ينظر التربويون إلي تنظيم الصف الدراسي Classroom Organization كعملية بدلا من النظر إليها كبنية . وكان باستطاعتهم أن يتبينوا Detect الديناميكيات المتشابكة المستخدمة في عمليات التحاور التي انشغل بها الأفراد (الممثلون) actors (المعلم والتلاميذ) عند تعريفهم لوضعية ما . وبذلك استطاع بعض الباحثين التربويين معرفة العلاقة بين توقعات المعلم ونتائج التلاميذ Student's outcome . إن ذلك يعني أن توقعات المعلم قد تؤثر علي أداء التلميذ من خلال عمليات التنشئة الإجتماعية وطرق الإقناع المختلفة . كذلك كان بإمكانهم أن يتبينوا التمايز differentiation الذي يحدث في خبرة التنشئة الاجتماعية المدرسية .

وهناك من البحوث ما أوضح الظاهرة الغامضة : التلاميذ الذين ينتمون إلي طبقة اجتماعية - اقتصادية عالية لديهم قدرة علي أن ينجزوا ، وبالتالي يحصلون أكثر من التلاميذ الذين ينتمون إلي طبقة إجتماعية إقتصادية دنيا ، حتي لو كان مستوي الذكاء لدي الفئة الأولي أدني منه لدي الثانية . لقد وجد أن توقعات المعلم (التي قد يكون لها أثر قوي في تحصيل التلاميذ) قد تحدد Determined بالمظهر الخارجي للتلميذ (النظافة ، اللبس ، الرائحة) ، وهذه ذات علاقة بالطبقة الاجتماعية الاقتصادية . وبالنسبة للمرأة ، وجد ، كما أشير سابقا ، أن توقعات المعلم قد تحدد بجنس التلميذ ، فالإناث ينشأن علي أن يكن سلبيات خاضعات .. الخ . كل هذا يتم عن طريق عمليات الإقناع والحوار بين الأفراد (الممثلين) actors المعنيين (المعلم والتلاميذ) . إن الباحثة لديها قناعة بأن هذه النظرية مع زيادة البحوث التي تنطلق من منطلقها لابد وأن تكشف لنا عن الكثير من الظواهر الغامضة التي تأخذ مكانا في أوضاع اجتماعية كثيرة .

صحيح أنه في الوقت الحالي لا يساعد وضع نظرية التفاعلية الرمزية علي أن تقدم الكثير . ولكن مع زيادة البحث وزيادة المفاهيم ، يمكنها أن تساعدنا علي إيضاح بعض المفاهيم والتعاريف والكشف عن متغيرات جديدة بل وحتي من الممكن الكشف عن ميادين لمواضيع بحث جديدة .

نقد نظرية التفاعلية الرمزية :-

وعلي الرغم مما لهذه النظرية من قدرة علي فهم كيف يمكن للأنماط المجتمعية أن تحفظ وتتغير وتتطور ، فما زالت تواجهها بعض المشاكل القديمة التي كانت تواجه كل من نظريتي الوظيفية والصراع . ألا وهي البنية الهرمية للنظرية . صحيح أن هذه النظرية تركت الفرضيات المبنية بناء هرميا ، ولكن مازالت تتضمن بعض مظاهر خصائص المعرفة التقليدية ، وهو الإعتقاد الذي يكون جزء لا يتجزأ من النظرية عن إمكانية النزاهة العلمية لدي الباحث في العلوم الاجتماعية وهذا يقتضي ضمنا تفوق الباحث علي المبحوث وذلك بأن يلاحظ الباحث الوضعية الإجتماعية ويتولي القيام بدور الأفراد (الممثلين) المنهمكين بها ، وبالتالي يمكن للباحث أن يكون موضوعياً في حكمه وتحديده وتعريفه وإدراكه للوضعية (الإجتماعية) (علميا) .

هل يستطيع الباحث في العلوم الإجتماعية أن يفصل نفسه عن خلفيته الاجتماعية، الطريقة التي ربي بها ، جنسه وعرقه وديانته .. الخ ؟

هل يستطيع الباحث أن يكون بالفعل نزيها وينسي جميع تعصباته الإجتماعية؟ إنه لقريب من اللا إنسانية أن يكون الشخص غير متحيز (متجردا من كل قيد اجتماعي)، وذلك لأن الإنسان بطبيعته متحيز بسبب اهتماماته . كيف يمكن لإنسان يجري بحثا علي وضعية منهمك فيها أناس آخرون ، من ضمنهم الباحث نفسه ، دون أن يكون متحيزا ؟ الا يعبر عن النظر هذه ؟ أليست هي خلفيته وماضيه وما يحب وما يكره ... الخ ؟ هذا هو النقد الوحيد لدي الباحثة ضد التفاعلية الرمزية والتي تنطبق علي أكثر نظريات علم الإجتماع .

الطريقة الظاهراتية Phenomenological approach :-

استخدمت الطريقة الظاهراتية بواسطة تربويين أقل ممن استخدموا طريقة التفاعلية الرمزية . وما تم عمله في هذا الميدان يكشف لنا أن فرض الظاهراتية فرض صحيح . وهو أن النظرة إلي الحقيقة الاجتماعية تختلف باختلاف الأفراد الذين

يرصدونها ، ولذلك يبني الأفراد حقيقتهم الاجتماعية علي أساس إدراكهم وفهمهم لها . من هنا فإن نتائج Outcome الحقيقة الاجتماعية المركبة (لمبنية) لا يمكن أن تدرس بمعزل عن الطريقة التي أتت بها إلي الوجود . وقد أتي بها إلي الوجود أفراد ، هؤلاء لابد وأن يساهموا في فهمها . وفهمهم لها أساسي لفهم الباحث لها . وقد وجد في بعض البحوث أن إدراك المدرس لما يحدث في حجرة الدرس يختلف عن إدراك التلميذ لنفس الحدث . فمثلا المدرسون لم يكونوا واعين بأن تصرفم في الفصل كان تصرفا منجازا . (للتفاصيل عن ذلك أنظر . (Sears, et.al 1974:174 - 158)

هذا السلوك المنحاز بدوره يخلق لا مساواة خلال خبرة التنشئة الاجتماعية . البحوث التي تستند إلي هذا المنطلق علي حدة غير كافية لتفسير اللامساواة في كل النظام التعليمي ونتائجه في القوي العاملة أو في المجتمع الأوسع ، وسيكون من الصعب معرفة أسباب بقاء هذه اللامساواة مستخدمين الطريقة الظاهراتية فقط . إن ما نحتاجه هنا فهم مشكلة اجتماعية من هذا النوع هو نظرية مكونة من جزءين أحدهما يستخدم التحليل المصغر (ميكرو Micro analysis approach) والآخر يستخدم التحليل المكبر (ماكرو Macro analysis approach) . جزء يهتم بتشكيل الحقيقة الاجتماعية علي أساس من الحياة اليومية ، والآخر يهتم بأثر هذا التشكيل علي النظام الإجتماعي ككل ، ولذلك لأن أي تغير يحصل للنظام الكلي إنما هو نتيجة لما يحدث لظاهرة في الحياة اليومية ، فالأفراد الذين يعملون ويستجيبون لبعضهم بعضا ، هم أنفسهم الأفراد الذين يبنون ويكونون النظام الإجتماعي الكلي ، ومن ثم فهم يغيرون إدراكهم للواقع الإجتماعي وبالتالي يغيرون أفعالهم actions وردود أفعالهم ويبنون ويعيدون بناء واقعهم الإجتماعي الجديد باستمرار ، لذلك ففهم ظاهرة إجتماعية ما حتي بقاء أو استمرار maintenance ظاهرة اللامساواة في المجتمع الأمريكي متعلق بفهم الأفراد للواقع الإجتماعي الجاري Onagoing reality .

الهوامش

١ – ان المقصود بالقوة التفسيرية للنظريات الإجتماعية هو مدي قدرة النظريات الاجتماعية الغربية علي تفسير الظواهر والأنماط الاجتماعية المتكونة في الغرب . وأعني بالنظريات الإجتماعية أربع نظريات اجتماعية هي الوظيفية ، الصراع ، الظاهراتية والرمزية ، وأعني بالضبط الإجتماعي المحافظة علي الوضع السائد والمتعارف عليه والمقبول سلفا .

إن إختياري لموضوع الضبط الاجتماعي في النظام التعليمي الأمريكي بدلا من موضوع الضبط الاجتماعي في النظام التعليمي العربي أو الكويتي مثلا كمجال لإختيار قدرة هذه النظريات الإجتماعية ينطلق من نقطتين هامتين : أولا لا توجد لدينا قاعدة واسعة من البحوث الخاصة بموضوع الضبط الاجتماعي وكيف يؤثر النظام التعليمي في الوطن العربي عليه يمكننا الإعتماد عليها في بحث ها النوع ، بينما لدينا تلك القاعدة الواسعة من البحوث الأمريكية الخاصة بهذا الموضوع . ثانيا وهو السبب الأهم أن هذه النظريات الإجتماعية نشأت في العالم الغربي فإختبارها إذن لابد أن يتم حيثما نشأت لنري مدي إنطباقها علي البيئة التي نشأت فيها ، هل تفسر أنماطها أم لا تفسرها .

Bibliography :

Albert J.

1974 " High-School Sex (Ist) Education " In stacey , J.et.al . (Eds.) And Jill Came Tumbling After . New York: Dell.

Alexander, K.L.

1978 "Curriculm Tracking and Educational Stratification : Some Further Evidence ." American Sociological Review , 43:47-66 .

Añyon , J.

1979 "Ideology and United States History Textbooks. " Harvard Educational Riview , 47: 361- 385.

Apple, M.(ed)

1982 Cultural and Economic Reproduction in Education : Essays On Class , Ideology and the State . London : Routledge and Kegan Paul .

Apple, M.

1979a Ideology and Curriculm . London : Routledge and Kegan Paul.

Apple , M.

1979b "What Correspondence Theories of the Hidden Curriculm Miss." The review of Education , 5:101-112.
Apple, M.& Wies, L.
1983 Ideology & Practice in Schooling . Philadelphia: Temple Univeristy Press.
Baruch ,K.
1974 "Sex-Role Attitudes of Fifth-Grade Girls" In J. Stacy et.al (Eds.) and Jill Came Tumbling After . New York : Dell.
Bernstein , B.
1977 Class Codes and Control . V3 London : Routledge and Kegan Paul.
Blau, P.M.and Ducan, O.D.
1967 The American Occupational Structure . New York : Wiley and Sons.
Bourdieu.P.
1973 " Cultural Reproducation and Social Reproducation " In (Ed) Knowledge , Education and Cultural Change . London : Tavistock.
Bourdieu , P.and Passeron J.C.
1977 Reproducation in Education , Society and Culture. Beverly Hills : Sags Publications.
Bowls , S .
1971 "Unequal Education and the reproducation of Social Division of Labour " Rview of Radical Economic . 3 .
Bowels, S. , & Ginitis H.
1976 Schooling in Capitalist America . New York : Basic Book Inc.
Cicourel, A.W. & Kitsus J.I.
1963 The Educational Decision Makers . Indianapolis : Bobbs-Merrill .
Clark, B.
1960 "The Cooling-Out Function in Higher Education "
American Journal of Sociology Office .
Coleman J.et.al.
1966 Equality of Educational Opportunity . Washington D.C. :

U.S.Goverment Printing oFFice .
Collins , R.
1971 "Functional and Conflict Theories and Educational Stratification ." American Soclogical Review . 36: 1002-1019.
Cusick,P.
1973 Inside High School : The Student'sWorld . New York: Holt, Rinehart and Winston , Inc.
Dreeben , R.
1968 On What is Learned in School . Addison - Wesley.
Dreeben R.
1977" The Contribution of. Schooling to the learning of Norms" In Karabel , ans Halsey , (Eds.) , Power and Ideology in Education New York : Oxford University Press.
Duncan , O.D.et.al.
1975 Socioeconomic Background and Achievements. New York : Academic Press .
Estler , S.E.
1975 " Women as Leaders in Public Education, "Signs , 1 .
Frazier N.& Sadker M.
1973 Sexism in School and Society . New York: Harper & Row
Giroux,H.A.
1983 " Theories of Reproducation and Resistance in the New Sociology of Education :A Critical Analisis."Harvard Education Review .53:257-294.
Griffiths M.,
1980 "Women in Higher Education A Case Study of the Open University in Deem,R, Schooling for Women's Work , London : Routledge & Kegan Paul.
Hartley , R.E.
1974 "Toward an Understanding of Achievement-Related Conflicts In Women,"In Stacey et.al.(Ed.).

I11ich.I
1971 De-Schooling Society . New York: Harper and Raw.
Jencks,C.et.al
1972 Inequality : A Reassessment of the Effect of Familly and Schooling in America . New York, Basic Books.
Karabel ,J.
1977 "Community Colleges and Social Stratification : Submerged Class Conlict in American Higher Education", In Karabeland Halsy (Ed.).
Karabel ,J.&Halsey A.H.
1977 Power and Ideology in Education . New York :Oxford University Press.
Kelly,G.P.&Nihlen,A.s.
1982 " Schooling and the Reproducation of Patriarchy:Unequal Wark Load , Unequal Rewards" < in Apple ,M. (Ed.).
Kilson<M.
1976 "The Status of Women in Higher Education, "Signs, 1:935-942.
Langton,K&Jennings M.K.
1968 "Political Socialization and Highschool Civic Curruclm in the United States, "The American Political Science Review,62:852-867.
Levy,B.
1974 "Do Schools Sell Girls Short?", In Stacey et.al.(Eds.)
Lightfoot, S.L.
1973 "Poltics and Reasoning: Through the Eyes of Teachers and Children",Harvard Educational review.43:197-224.
Litt,E.
1963 " Civic Education, Community Norms and Poltical Indoctrination" American Sociological Review . 28:69-75.
Mac Donald,M.
1980 "Socio- Cultural Reproducation and Women's Education" in Deem,R.(Ed.) Schooing for Women's Work .London : Routledge and

Kegan Paul.
Mc Robbie,A.
1978 "Working Class Girls and the Cuture of Feminity," In Women's Studies Group, Center for Contemporary Cultural Studies .(Ed.) Women Take Issues : Aspects of Women's Subordination . London: Hutchinsom and Company.
Parsons, Talcot .
1977 " The School Class as a Society System" In Peter I.Rose , The study of Society New York : Random House.
Pietro Fesa,J.J.and Schlossberg N.K.
1977 " Counselor Bias and the Female Occupational Role," in Pottker J.& Fishel , A.(Eds.) Sex Bias in the Schools Teaneck, New Jersey: Farleigh Dickinson University Press.
Pottker, J.
1978 "Psychological and Occupational Sex Stereotypes in Elemenary School Readers,"In Pottker,J&Fishel A.(Ed.).
Rehberg, R & Rosenthal E.R.
1978 Class and Merit in the American Highschool . New York: London Inc.
Rist,R.
1970 "Students, Social Class and Teacher Expectations : The Self-Fullfilling Prophecy in Ghette Education :, Harvard Educational Review, 40 : 411-450.
Rosenbaum , J.
1976 Making Inequality . New York : John Wiley and Sons .
Sears , P.et.al.
1974 "Teacher Interaction With Boys and With Girls " in Stacey , et.al.(Eds.).
Sewell,w. et.al.
1969 "The Educational and Early Occupational Attainment Process

,"American Sociological Review , 34:82-92.
Sewell,W.et.al.
1970 "The Educational and early Occupational Status Attainment Process: Replication and Revision," American Sociological Riview, 35:1014-1027.
Sewell , W.& Hauser R.M.
1975 Education Occupation and Earning . New York : Acadamic Press.
Shaw , J.
1980 "Education and the Individual : Schooling for Girls, Or Mixed Schooling - A Mixed Blessing , " In Deem , R.(Ed).
Spaulding , R.l.
1963 Achievement , Creativity , and Self Concept Correlates of Teacher-Puplic Transacation in Elementary Schools.
Cooperative Research Project No.1352 U.S. Dept . of Health , Education & Welfare , Office of Education , Washington , D.C.
Spencer , A.G.
1974 "Why Are There No Women Geniuses? " , in Stacey , et.al.(Eds.) .
Staccey , J.et.al(Eds.)
1974 And Jill Came Tumbling After : Sexism in American Education New York : Dell.
Tiedt , I.M.
1974 " Realistic Counselling for High - School Girls " In Stacey , et.al.(Eds.) .
Thomas ,A & Stewart N.
1971 " Counselor's Response to Female Clientswith Deviate and Conforming Career Goals", Journal of Counseling Psychology . 77:1125-1150.
Thomas , M.C.
1974 "Present Tendecies in Women's College and University Education " In stacey , et.al.(Eds.).
Trecker J.L.

1974 " Women in U.S. History Highschool Textbooks", In Stacey et.al.(Eds.).
Turner , J.H.
1978 The Structure of Sociological Theory . Homewood I11inois: The Dorsy Press .
Valli , L.
1983 " Becoming Clerical Workes : The Relation Between Business Education and the Culture of Femininity " , In Apple W.M. & Weis L.(Eds).
Webester E.et.al.
1970 " The Effect of Race and Sex On College Admission , " Sociology of Education . 44 : 237-244.
Weitzman , L.J. et.al.
1972 "Sex - Role Socialization in Picture Books for pre-school Children ", American Journal of Sociology . 77:1125-1150.
Whitty G.& Young , M.(Eds.)
1976 Exploration in the Politics of School Knowledge. Nafferston , England : Nafferston Books.
Young , M.F.D. (ED.)
1971 Knowedge and Control. London : Callier -Macmillan
Zeitlin , I.M.
1973 Rethinking Sociology. Englewood Cliffs , N.J. : Prentic- Hall,Inc.